# قضايا "الداليت: المنبوذين" في الهند
# رواية " دويہ بانی: التعاليم المقدسة" نموذجاً

د.أسامة محمد شلبي(*)

**الملخص**:

يعد النظام الطبقي في الهند نظام تقسيم اجتماعي ذا جذور قديمة، إذ توجد فكرة التقسيم الطبقي التي يقوم عليها المجتمع الهندي في الكتاب المقدس "الفيدا"، ويقسم هذا النظام المجتمع إلى أربع طبقات أساسية تحوي بداخلها طبقات فرعية، وفي قاع الطبقة الرابعة والأخيرة التي هي أقل الطبقات منزلة وشأنًا توجد فئة "الداليت: المنبوذين/ المهمشين"، ولهذا فلا عجب أنها تعيش حياة ملؤها التهميش والتمييز والإقصاء وانتهاكات حقوق الإنسان علاوة على كافة أشكال وصور الاستغلال البشري إن دينيًا أم اجتماعيًا أم اقتصاديًا أم نفسيًا وجسديًا وغيرها. ومن هنا تنبع أهمية هذه الدراسة التي تتناول قضايا "الداليت: المنبوذين/ المهمشين" في الهند، وذلك من خلال رواية " دويہ بانی: التعاليم المقدسة" موضوع الدراسة، والتي تعد بمثابة حجر الزاوية في أعمال الأديب " غضنفر على " الروائية. هذا من حيث الموضوع، أما عن أهمية الرواية فإنها تستمدها بطبيعة الحال من مؤلفها "غضنفر على " الأستاذ الدكتور بالجامعة الملية في نيودلهي

* أستاذ مساعد بقسم اللغة الأردية ، كلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر ، القاهرة

Usama Mohammed Shalaby - Department of Urdu, Faculty of Lang. & Translation.- Al-Azhar University, Cairo, Egypt. E-mail: usamashalaby@azhar.edu.eg

والأديب الهندي صاحب العديد من الأعمال الأردية في مختلف صنوف الأدب الأردي. ووفقًا لطبيعة الدراسة الموضوعية فقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها تجذر النظام الطبقي في أعماق المجتمع الهندي نظرًا لقيامه على الدين والعقيدة، وارتكاز هذا النظام على مواضع خلق الطبقات الأربع من الإله الواحد العظيم "براهما"، وكذا اتسامه بالجمود والديمومة.

**كلمات مفتاحية**: النظام الطبقي، المنبوذين، الداليت، دويه بانى، غضنفر على، الاستغلال البشري.

## Issues of “Dalit” in India
## The novel “Divya Bani: The Sacred Teachings” as a model

**Abstract:**

The caste system in India is a social division with ancient roots. The idea of class division, on which Indian society is based, is found in the Holy Vedas. This system divides society into four basic classes that contain subclasses within them. At the bottom of the fourth and last class, which is the lowest class, there is the “Dalits”. Therefore, it is no wonder that they live a life full of discrimination, exclusion, and human rights violations, in addition to all forms of human exploitation, whether religious, social, economic, etc. Hence the importance of this study, which deals with Dalit issues in India through the novel "Divya Bani: The Sacred Teachings", which is considered a cornerstone of the “Ghazanfar Ali’s” novelist works. As for the importance of the novel, it derives from its author “Ghazanfar Ali”, a professor at Jamia Millia University in New Delhi, an Indian writer, and the author of many Urdu books in various types of Urdu literature. The study depended on the (descriptive and analytical) method. Among the most important results of this study was the rootedness of the caste system in Indian society due to its being based on religion, and the basis of this system on the creation’s place of the four classes from the one great god, Brahma, as well as the stagnation and permanence of this system.

**Keywords:** Caste System, Dalit, Divya Bani, Ghazanfar Ali, Human exploitation.

## مقدمة

يعد النظام الطبقي في الهند نظام تقسيم اجتماعي ذا جذور قديمة، إذ توجد فكرة التقسيم الطبقي التي يقوم عليها المجتمع الهندي في الكتاب المقدس "الفيدا"، ويقسم هذا النظام المجتمع إلى أربع طبقات أساسية تحوي بداخلها طبقات فرعية، وفي قاع الطبقة الرابعة والأخيرة التي هي أقل الطبقات منزلة وشأنًا توجد فئة "الداليت: المنبوذين/ المهمشين"، ولهذا فلا عجب أنها تعيش حياة ملؤها التهميش والتمييز والإقصاء وانتهاكات حقوق الإنسان علاوة على كافة أشكال وصور الاستغلال البشري إن دينيًا أم اجتماعيًا أم اقتصاديًا أم نفسيًا وجسديًا وغيرها، وقد بدأ هذا الاستغلال فعليًا عقب قدوم الآريين إلى الهند، فاعتبار أنفسهم فاتحين، وسكان البلاد الأصليين (الدرافيين) مغلوبين، بل واعتبار الآريين أنفسهم أبناء الآلهة، وقيامهم بتقسيم المجتمع طبقيًا على أساس عرقي فضلًا عن التمييز اللغوي وغير ذلك ما هو إلا صور وأشكال مختلفة للاستغلال. وليس هذا فحسب، بل ونظرًا لأن الجهل والخرافة هما أسهل وأنجع وسائل الاستغلال؛ لذا يظل غالبية أفراد الطبقات والفئات الدنيا محرومين من التعليم وأبسط حقوق الإنسان في الحياة الكريمة.

ومن هنا تتناول هذه الدراسة قضايا "الداليت: المنبوذين/ المهمشين" في الهند، وذلك من خلال رواية " *ديو بانى*: التعاليم المقدسة" موضوع الدراسة، والتي تعد بمثابة حجر الزاوية في أعمال الأديب " *غضنفر على* " الروائية؛ إذ تعد من أفضل الروايات الأردية التي تناولت قضايا هذه الفئة المهمشة وأسبابها جنبًا إلى جنب مع طرح حلول لها أمام المجتمع كي ينار له الطريق نحو تحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية، وجاء ذلك من خلال أسلوب استفهامي يثير ذهن القارئ ويدعوه للتفكر والتأمل بشأن العديد من الأسئلة المثارة، والتي يصعب الإجابة عليها بسهولة، ومن هنا تبرز طبيعية اللغة جنبًا إلى جنب مع منطقيتها وقوتها الاستدلالية.

هذا من حيث الموضوع، أما عن أهمية الرواية موضوع الدراسة فإنها تستمدها بطبيعة الحال من مؤلفها "غضنفر على " الأستاذ الدكتور بالجامعة الملية في نيودلهي والأديب الهندي صاحب العديد من الأعمال الأردية في مختلف صنوف الأدب الأردي، علاوة على خبرته الواسعة في مجال التدريس وتعليم اللغة، وفقاً لما سيرد ذكره في التمهيد.

ويجدر بالذكر أن الأديب الهندي "غضنفر" رغم تعلمه في جامعة عليكره الإسلامية، إلا أنه سعى جاهدًا لتمثل الواقع من خلال التكيف مع بيئته، ومجاراة الواقع المعاصر للمجتمع الهندي، فنجده قد استخدم في مختلف كتاباته وأعماله الأردية العديد من الألفاظ الهندية غير الرائجة في الأردية تلبية لمتطلبات الواقع المعيش في المجتمع الهندي من رواج الألفاظ الهندية بكثرة في اللغة الأردية بالهند، وحلولها محل الألفاظ العربية والفارسية، وهذا وإن كان مما يحمد للأديب نظرًا لمرونته وقدرته على استيعاب عصره، بل ومخاطبته للقارئ المعاصر بلغته السائدة، إلا أن هذا في حد ذاته كان أحد الصعوبات الرئيسية التي واجهتني خلال إعداد هذه الدراسة؛ لذا ارتأيت ضرورة إعداد مسرد بأهم الألفاظ الهندية الواردة في الرواية لعموم الفائدة.

ووفقًا لطبيعة الدراسة الموضوعية فقد اعتمدت على تحليل النص الروائي عبر المنهج الوصفي التحليلي من حيث رصد وتتبع قضايا "الداليت: المنبوذين/ المهمشين" في الهند، بغية الوصول إلى استخلاص نتائج البحث.

وقد بدأت الدراسة بتمهيد تناولت فيه لمحة عن حياة الأديب "غضنفر على " وأهم أعماله، ثم أتبعته بعرض للنظام الطبقي في الهند، وماهية كل طبقة بغية الوقوف على طبيعة التقسيم الاجتماعي المتجذر فيها، وأردفت ذلك بالتعريف اللغوي والاصطلاحي لفئة "الداليت: المنبوذين/ المهمشين" مناط الرواية، معرجًا بإيجاز على أهم المحطات البارزة في تاريخهم، ثم قمت بعمل عرض لرواية " دويه بانى: التعاليم المقدسة" موضوع الدراسة دونما إفراط ممل أو إيجاز مخل، وأخيرًا قمت باستعراض قضايا الداليت في الهند التي تضمنتها الرواية، وذيلت ذلك كله بمسرد

يضم أهم الألفاظ الهندية الواردة في الرواية موضوع الدراسة، وتنتهي الدراسة بخاتمة تضم أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وثبت بالمصادر والمراجع.

## تمهيد

### التعريف بالأديب[1]

الأستاذ الدكتور " غضنفر علی " والشهير باسم " غضنفر "، ولد في ٩ مارس ١٩٥٣م في قرية تابعة لولاية " بہار " بالهند، وتلقى تعليمه الأولي في مدرسة القرية، وفي عام ١٩٧٦م حصل على درجة الماجستير في اللغة الأردية بتقدير "ممتاز" من جامعة عليكره الإسلامية، وفي عام ١٩٨٢م حصل على درجة الدكتوراه في اللغة الأردية عن رسالة بعنوان "النظريات النقدية لمولانا شبلي النعماني"، وتم تعيينه محاضرًا في قسم اللغة الأردية بجامعة عليكره الإسلامية، وفي عام ١٩٩٣م أصبح مدير "مركز تدريس وبحوث الأردية UTRC" في "لكهنو" أحد فروع "المعهد المركزي للغات الهندية CIIL" التابع للحكومة الهندية، وفي عام ٢٠٠٨م أصبح أستاذًا ومديرًا لأكاديمية التطوير المهني لمعلمي اللغة الأردية التابعة للجامعة الملية الإسلامية في نيودلهي.

شارك " غضنفر " في العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية، والأمسيات الشعرية، والتجمعات الأدبية التي تنظمها العديد من الأكاديميات والجامعات والمؤسسات الأدبية، وكتب في مختلف صنوف الأدب الأردي علاوة على النقد وتعليم اللغة؛ إذ نشرت له العديد من الأعمال في صنوف الرواية والقصة والمسرح والشعر والنقد وغيرها، ومن أشهرها: رواية " پانی: الماء"، ورواية " دویہ بانی: التعاليم المقدسة"، والمجموعة القصصية " حیرت فروش: بائع الدهشة"، والمجموعة الشعرية " آنکھ میں کنت: لكنة في العين"، ومسرحية " کوئلے سے ہیرا: ماس من الفحم"، وفي النقد " مشرقی معیارِ نقد: معيار النقد الشرقي"، وفي تعليم اللغة " زبان وادب کے تدریسی پہلو: الجوانب التربوية للغة والأدب"، " تدریسِ شعر وشاعری: تدريس الشعر"، " آسان اردو قواعد: قواعد الأردية السهلة"، وغيرها.

غير أن شهرته الأساسية ذاعت في صنف الرواية، فتمت ترجمة روايتيه " دويہ بانی، کہانی انکل " إلى اللغة الهندية، كما صدرت مجموعة ضمت إجمالي رواياته التسع بعنوان " آبیاژہ" " في فبراير ٢٠٢٢م، وقد حصل على عدد من الجوائز العينية والتقديرية تقديرًا لإسهاماته في اللغة والأدب الأردي.

## النظام الطبقي في الهند

يعد النظام الطبقي نظام تقسيم اجتماعي ذا جذور قديمة، إذ كان الملوك القدماء يولون اهتمامًا بالغًا بتصنيف الناس إلى طبقات، ويوكلون إلى كل طبقة ما عليها من عمل تقوم به، دونما اختلاط أو تجاوز للطبقة، وبالتالي معاقبة كل من يخالف ذلك، وكان للهند كذلك حظ وافر من هذا، إذ توجد فكرة التقسيم الطبقي التي يقوم عليها المجتمع الهندي في الكتاب المقدس "الفيدا"، ولكن يصعب توصيف النظام الطبقي في الهند بدقة نظرًا لارتباطه بالعقيدة، فباتت الطبقة حقلًا اجتماعيًا مغلقًا إلى الأبد [٢].

**ويقسم النظام الطبقي في الهند المجتمع إلى أربع طبقات أساسية كالآتي [٣]:**

١. **طبقة "البراهمة"**: أعلى هذه الطبقات وفي مقدمتها جميعًا، فقد خلقوا من رأس الإله الواحد الأعظم "براهما"؛ لذا فهم نقاوة الجنس، وخيرة الإنس، وهي طبقة الكهنة رجال الدين والمعلمين، ويذكر "البيروني" عن طباع الطبقات الأربع في كتاب "گیتا " المقدس قائلًا: **"وقد قال "باسديو" حين سأله "أرجن" عن طباع الطبقات الأربع وما يجب أن يتخلقوا به من الأخلاق: يجب أن يكون "البرهمن" وافر العقل، ساكن القلب، صادق اللهجة، ظاهر الاحتمال، ضابطًا للحواس، مؤثرًا للعدل، بادي النظافة، مقبلًا على العبادة، مصروف الهمة إلى الديانة"**[٤].

٢. **طبقة "الكَشَتْرِيا"**: تأتي في المرتبة الثانية، فقد خلقوا من مناكب الإله "براهما" ويديه، وبالتالي فإن رتبتهم غير متباعدة كثيرًا عن رتبة البراهمة، وهي طبقة القادة والمحاربين حماة المجتمع والوطن القائمين على إدارة شئونه وأمنه، ولهم ألقاب خاصة بهم مثل " سنگھ: أسد"

وغيرها، ويذكر "البيروني" في ذات السياق السابق قائلًا: **"ويجب أن يكون "كشتر" مهيبًا في القلوب، شجاعًا، متعظمًا، ذلق اللسان، سمح اليد، غير مبال بالشدائد، حريصًا على تيسير الخطوب"**(٥). وفي موضع آخر يقول: **"وقال أيضًا لأرجن مشجعًا إياه على قتال العدو: أما تعلم يا طول الباع أنك كشتر، وجنسك مجبول على الشجاعة والإقدام وقلة الاكتراث لنوائب الأيام، إذ لا يُنال الثواب إلا بذلك، فإن ظفرت فإلى المُلك والنعمة، وإن هلكت فإلى الجنة والرحمة، .....، فإن كان الله أمرك وأهل طبقتك بالقتال، وخلقك له، فاصدع بأمره وانفذ بمشيئته بعزيمة مجردة عن الأطماع ليكون عملك له"**(٦).

٣. **طبقة "فيشيا"**: تأتي في المرتبة الثالثة، وقد خلقوا من فخذ الإله "براهما"، وهي طبقة من يقومون على رعاية الحاجات المادية للمجتمع كالزراعة والتجارة، ومن أسمائهم "كبتا، بهاتيا" وغيرها، ويذكر "البيروني" في ذات السياق السابق قائلًا: **"ويجب أن يكون "بيش" مشتغلًا بالفلاحة، واقتناء السوائم والتجارة"**(٧).

٤. **طبقة "شودر"**: أقل الطبقات قيمة وشأنًا؛ لأنها في قاع المجتمع الهندي، فقد خلقوا من رجلي الإله "براهما"، وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان، وهي طبقة الخدم والعبيد والعمال وأصحاب المهن الوضيعة في نظر المجتمع الهندوكي والتي لا يفكر أحد القيام بها مثل جمع القمامة ودباغة الجلود وغيرها، علاوة على خدمتهم أفراد الطبقات العليا، ويعيشون على فتات من العيش، ويتعرضون لكافة أنواع الاستغلال البشري، ويلحق بأسمائهم لقب " داس: الخادم" وغيره، ويذكر "البيروني" في ذات السياق السابق قائلًا: **"ويجب أن يكون "شودر" مجتهدًا في الخدمة والتملق، متحببًا إلى كل أحد بها"**(٨). وفي موضع آخر يقول: **"وأما "شودر" فهو للبرهمن كعبد يتصرف في أشغاله ويخدمه، .....، وكل عمل يخص البرهمن من التسابيح وقراءة "بيذ" (الفيدا) وقرابين النار فهو محظور عليه، حتى أنه و"بيش" إن صح عليهما أنهما قرآ "بيذ" رفعتهما البراهمة إلى**

**الوالي فقطع لسانهما، وأما ذكر الله وعمل البر والصدقة، فهو غير ممنوع عنه"**[٩].

وهكذا يتضح أن هذا التقسيم الطبقي، وهذا التمايز بين أفراد المجتمع الهندي لم يكن نتاج سلطة سياسية غاشمة أو اجتماعية جائرة، بل بمقتضى ديني، وأمر إلاهي، فقد خلق الإله "براهما" الخلق على هذا النحو، وعليه وجدت حدود صارمة بين الطبقات وجب احترامها، ولا يجوز لأي شخص تخطيها، الأمر الذي أكد عليه "البيروني" بقوله: **"وكل من هؤلاء إذا ثبت على رسمه وعادته نال الخير في إرادته إذا كان غير مقصر في عبادة الله، وإذا انتقل عما إليه إلى ما إلى طبقة أخرى وإن شرفت عليه كان إثمًا بالتعدي في الأمر"**[١٠]. وأثبته كذلك الدكتور "أحمد شلبي" بقوله: **"على أن الفلسفة الهندية لم تقنع بالجنس والعنصر سببًا لنشأة نظام الطبقات، بل رأت أن تربطه بنص مقدس، فورد في قوانين "منو" سبب هذه الطبقات، يقول "منو" وهو يعدد خلق برهما للكائنات: "ثم خلق البرهمي من فمه، والكاشتريا من ذراعه، والويشا من فخذه، والشودرا من رجله، فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو"**[١١].

ويجدر بالذكر أن هذا التقسيم الطبقي كان له أثره الفادح على مختلف فئات المجتمع الهندي بما فيها المسلمون أيضًا، من حيث التحكم في العلاقات بين أفراد المجتمع وخاصة الزواج، والفصل الجغرافي حيث تعيش الطبقات العليا بخاصة في الريف في الأماكن النظيفة ذات الخدمات، بينما على النقيض منها تمامًا تعيش الطبقات الدنيا التي تتعرض للسخرة والعنف من الطبقات العليا، فالهندي عنيف بطبعه عندما يتعامل مع هذه الطبقات المنبوذة[١٢].

## فئة "الداليت: المنبوذين"

تعد كلمة " دلت " صفة سنسكريتية الأصل، وتعني لغويًا: "المطحون، المُحَطَّم، المُدَمَّر، الموطوء تحت الأقدام، الخاضع، المضمحل، المعدم البائس"[١٣]، وغيرها من المعاني الدالة

بوضوح على الذلة، والمهانة، والبؤس، والشقاء، والاحتقار، والتهميش، وانتهاكات حقوق الإنسان.

أما في الاصطلاح فهي فئة ضمن الطبقة الرابعة "شودر"، لكنها تعتبر في قاع هذه الطبقة التي هي أقل الطبقات قيمة ومنزلة، وتضم أصحاب المهن القائمة على إهدار الحياة كالجزار، والصياد، وكل من يتعامل مع مخرجات الإنسان كالحلاق، وعامل نظافة دورات المياه، وغيرهم، وتعتبر هذه الفئة نجسة لا يقربها الناس أو حتى يلامسونها، بل إنها لا تستطيع مساكنة الطبقات الأربع داخل بلدة واحدة، بل خارجها أو على مقربة منها [١٤]، وفي الوقت الراهن تعرف فئة الداليت رسميًا باسم "الطبقة المجدولة"، وهو المصطلح الأكثر شيوعًا في الهند الآن رغم تفضيل أفراد الطبقة أنفسهم استخدام مصطلح الداليت، بينما كانت تعرف سابقًا باسم "الطبقة المكتئبة أو المنبوذين" وغيرهما؛ لأنه ينظر إليها بازدراء من قبل الهندوس، لكن تم حظر استخدام هذه المصطلحات بموجب الدستور[١٥].

والمنبوذون هم سكان الهند الأصليون، ويسمون "زنوج الهند"، وتشكل فئة الداليت قرابة ربع مليار نسمة من سكان الهند، وتكثر ضدهم الجرائم والاعتداءات، وحوادث الاغتصاب لنسائهم، فقد حرمهم المجتمع الهندوكي أبسط حقوق الإنسان، بل ونزل بهم أحيانًا لمستوى أقل من الحيوان، وتم تركهم هكذا في حياة بدائية مريرة ما زالوا يعانون منها حتى اليوم من حرف حقيرة، وسخرة، وعنف، وحرمان من التعليم، وغير ذلك، وخلال معركة استقلال الهند أصر "أمبيدكار"[١٦] زعيم الداليت على التعريف عن طائفته بهذا الاسم في محاولة منه لإبراز قضيتهم، ووصل الأمر إلى التهديد أكثر من مرة باعتزال الهندوس، والاندماج في مجتمعات الأديان الأخرى، الأمر الذي أسفر عن تخفيف معاناتهم قليلًا، وتراجع حدة معاملة الهندوس لهم خوفًا من انضمامهم إلى الأديان الأخرى المناوئة للهندوسية، ونجح "أمبيدكار" بالفعل في الحصول على تمثيل خاص بالداليت في المجالس التشريعية للحكومة [١٧].

وعقب الاستقلال عام ١٩٤٧م تم اختيار "أمبيدكار" كأول وزير للقانون في الحكومة الجديدة، وقام بدور بارز في صياغة الدستور الأول لجمهورية الهند عام ١٩٥٠م، ونجح في

تضمينه مبادئ العدالة الاجتماعية من حيث المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات، وحظر التمييز الطبقي، وكفالة حقوق الداليت كمواطنين هنود، كما تم إقرار سياسة التمييز الإيجابي (نظام المحاصصة أو الكوتا) التي تضمن امتيازات تعليمية ومهنية للداليت تم بموجبها تخصيص نسبة من الوظائف وفرص التعليم لهم، لكن الممارسات الفعلية على أرض الواقع في المجتمع كانت مغايرة؛ لذا استقال "أمبيدكار" من منصبه عام ١٩٥١م بعد تأكده من أن تأثير التقاليد الدينية أقوى بكثير من مواد القانون، فقرر ترك الديانة الهندوسية، واعتناق البوذية مع عدد كبير من طائفته(١٨).

وفي عام ١٩٥٥م صدر قانون حماية الحقوق المدنية (المواطنة) الذي ينص على معاقبة منع أي شخص من التمتع بالحقوق الدينية والاجتماعية والمهنية على أساس طائفي، الأمر الذي ساهم كثيرًا –رغم قسوة العادات والتقاليد– في دعم وتحسين أحوال الداليت، فتقلد العديد منهم بعض المناصب الحكومية نظرًا لازدياد خشية الهندوس من معدلات انضمامهم لأديان أخرى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اثنين من أبناء فئة الداليت فازا بمنصب رئيس جمهورية الهند، أولهما كان الرئيس العاشر للبلاد في الفترة ما بين عامي (١٩٩٧م– ٢٠٠٢م) ليصبح أول منبوذ يصل لهذا المنصب، وثانيهما كان الرئيس الرابع عشر للبلاد في الفترة ما بين عامي(٢٠١٧م– ٢٠٢٢م) (١٩).

تأسيسًا على ما تقدم فإن فئة الداليت أو المنبوذين في أدنى قاع التقسيم الطبقي، أي في قاع طبقة "شودر" التي هي بدورها أقل الطبقات وأدناها جميعًا، ولا يمكن للناس أن يقربوها أو حتى يلامسوها، ورغم الحقوق المكفولة دستوريًا علاوة على الجهود المبذولة على الصعيد السياسي للتقرب من الداليت من أجل كسب أصواتهم الانتخابية، إلا أن الممارسة المجتمعية تجاههم لم تتغير كثيرًا، وما زالت الفوارق الطبقية وفق تعاليم الهندوسية راسخة بقوة في المجتمع الهندي بخاصة في المناطق الريفية، الأمر الذي يبطئ من معدلات التغيير نحو إنصافهم وتحريرهم.

## عرض رواية " دويه بانى: التعاليم المقدسة"

اعتمدت الدراسة على الطبعة الأولى للرواية، والصادرة عام ٢٠٠٠م من قبل دار " بشرى " للنشر بمدينة " على گڑھ " بالهند، وتقع الرواية في مائة وستين صفحة، وتتألف من اثنين وعشرين فصلًا، وشخوصها ثمانية، وتدور أحداثها حول نموذج صارخ للظلم والاستبداد والاستغلال البشري في أبشع صوره في الهند عبر العصور منذ عصر الفيدا حتى الآن، إذ تبدأ الرواية بمشهد تعذيب مروع لشخص يدعى " جهگرو " تدوي صرخاته في الأرجاء، فيسمعها الطفل البرئ " بالیشور " الذي يرتاع جراء هذا المشهد، في حين أن جده تملؤه السكينة والطمأنينة، فتتحرك قريحة الطفل نحو إلقاء الأسئلة على جده عما يحدث، فيجيبه بأنه يعاقب جراء اقترافه ذنبًا عظيمًا، وخرقه للقواعد والتعاليم التي وضعها الإله "براهما" من خلال استماعه للأناشيد المقدسة التي لا يجب عليه سماعها؛ لأنها ليست لأمثاله، فهو مغاير لنا، الأمر الذي استشكل على الطفل استيعابه، كيف مغاير لنا وهو بشر مثلنا تمامًا، كما أنه ليس غريبًا عنا بل هو خادمنا؟ إلا أن جده لم يشفق عليه وقفل عائدًا، بينما عقدت ألسنة الجميع، وظلت أعينهم تنهمر بدموع تحوي صرخات آلام صدورهم.

ويظل السؤال يؤرق " بالیشور " ويتردد صداه في ذهنه دائمًا: لم " جهگرو " مغاير لنا، ولم سماعه للأناشيد المقدسة إثمًا مبينًا؟ لكن صغر سنه يحول دون توصله إلى أية إجابة. وعقب ذلك إذ به يرى في منامه كابوسًا مريعًا ينهض على إثره صارخًا، فقد رأى ثعبانًا مخيفًا خرج من غرفة جده، وقام بلدغ الحمام والحملان، ثم تسلل إلى المطبخ وشرب اللبن، وعاد إلى غرفة جده مرة أخرى.

وفي الصباح يتراءى له جسد " جهگرو " المثخن بالجراح، فينادي على خادمه المساوي له في العمر " بالو " ليسأله عن حال والده، ويطلب منه اصطحابه إلى منزلهم لرؤيته، الأمر الذي يصدم "بالو" بعنف غير أنه في النهاية يذعن لرغبة سيده الذي يشرع في رؤية مشاهد غريبة على ناظريه طوال الطريق إلى حي المنبوذين في القرية، حيث حوارٍ ضيقة مظلمة قذرة مليئة بالعفن والروث، وبرك المياه ذات الروائح الكريهة، وغيرها حتى يتوقفا أمام منزل طيني،

ويتمالك " باليشور " نفسه إزاء المشاهد المقززة التي يراها، ويدخل لرؤية " جهگرو " الراقد على الأرض ولا يقو على الحراك، فيرق لحاله وآلامه وتأخذ عينيه في التجول في الأرجاء واستكشاف مدى البؤس والفقر والقذارة والظلام الذي يحيا فيه هؤلاء الناس، فلا يستطيع التحمل ويعود إلى بيته في حالة مزرية، ليبدأ عقله بعدها في عقد مقارنة تفصيلية بين كل ما رآه هناك، وبين ما يعيش فيه هنا من رحابة وضياء ونظافة تامة وهواء عليل ومياه جارية وحدائق غناء، والأدهى من ذلك أن من يقومون بالخدمة وفعل هذا كله هم أهل " بالو " أنفسهم، الأمر الذي يزيد من حيرته ودهشته، فيسأل والدته عن هذا ولكنها لا تملك جوابًا سوى أن هذا من عند الإله الواحد الأعظم، يجعل من يشاء أشقرًا ومن يشاء أسودًا وهكذا.

عرف الجد بذهاب حفيده إلى حي المنبوذين، فوبخ " بالو " أشد التوبيخ، ثم ذهب للاطمئنان على " باليشور " الذي شرع يسأله عن سر هذه القذارة التي رآها هناك؟ لكن الجد زجره عن التفكير في هذا محذرًا إياه من الذهاب إلى هناك مجددًا، فيقرر سؤال معلمه في المدرسة لأن لديه إجابة على كل سؤال، لم " جهگرو " ليس منا ومغاير لنا؟ ولم كل هذه القذارة في حي المنبوذين؟ فينزعج المعلم كثيرًا إزاء ذلك، لكنه يخبره بأنه ما زال صغيرًا على استيعاب هذه الأمور، وباختصار فقد خلقنا الإله "براهما" من رأسه، بينما " جهگرو " من قدميه، وهذا الفرق بين الرأس والقدم هو ذاته بيننا وبينه، فالرأس في الأعلى والقدم في الأسفل. وبالنسبة للسؤال الثاني فالقذارة هناك لأنهم يريدونها، الأمر الذي يزيد من حيرة ودهشة " باليشور " فيشرع في طرح المزيد من الأسئلة، فيغضب معلمه بشدة ويأمره بالمغادرة نظرًا لتأخر الوقت، فيمضي عائدًا إلى البيت متعجبًا من ردة فعل معلمه وفي ذهنه المزيد والمزيد من الأسئلة.

وفي أحد الأيام ركز " باليشور " ناظريه على الطعام العجيب لخادمه " بالو " والذي لم ير مثله قط قبلًا، فيرغب في تناوله إلا أن أمه تخبره بعدم استطاعته، فيرغب في تذوقه غير أنها تخبره بعدم استساغته له، ولكن مع عناده يتناول لقمة صغيرة فيتقيؤها فورًا على الأرض، ويشرب الماء ليزيل مذاقه، بينما يرى " بالو " يأكل بكل طمأنينة وسعادة، فتتسع دائرة تفكيره وأسئلته

أكثر بشأن هؤلاء الناس لدرجة أنه ذات يوم رآهم يتهافتون على أكل لحم الميتة والجيفة من أجل سد جوعهم دون أدنى تمييز.

قرر " بالبيشور " ذات يوم سؤال " بالو " مباشرة عن سبب قذارة منزلهم وامتلائه بالديدان والحشرات، فإذا به يعجب بشدة جراء دهشة " بالو " من السؤال وعدم انتباهه لذلك حتى أنه لا يراه كذلك، الأمر الذي يثير بركانًا من الأسئلة بداخله لا مجيب عليها، فيسأله مرة أخرى عن عدم ذهابهم إلى المدرسة، فيجيبه " بالو " بأنهم لا يستطيعون لأنها ليست لهم، فيخبره " بالبيشور " عما يدور فيها من دراسة علاوة على الاستماع للأناشيد المقدسة ومواعظها الحسنة، عندئذ ينزعج " بالو " كثيرًا ويرتعد من الخوف، فيعرض عليه " بالبيشور " أن يسمعه بعضًا منها واعدًا إياه بعدم إخبار أحد، لكن " بالو " يرجوه ألا يفعل، وأمام إصرار سيده وغضبه ووعده وافق في النهاية، وكانت المفاجأة إذ بعد سماعه بعضًا منها بدأ يشعر وكأن ماء النهر أخذ يسري في جسده، وكأن عقله أخذ ينساب مع هذا الماء الجاري، وراقت له كثيرًا الأناشيد المقدسة والتي أخذت تدريجيًا تستقر في عقله ووجدانه، ويتردد صداها في آذانه وعلى لسانه محدثة بداخله حالة ناشئة جديدة.

ويستمر الأديب في عرض صور مختلفة من الاستغلال البشري لهؤلاء الناس، وبالتزامن معها تظل العديد من الأسئلة تقرع ذهن " بالبيشور " الذي لا يهدأ كي يجد أجوبة لها، ويشرع في العمل ببعض تعاليم الأناشيد المقدسة من إغماض عينيه والتفكر بعمق في كل شيء حوله حتى أضحى ذلك عادة له، وبالفعل بدأ يصل إلى جذور أغلب القضايا، الأمر الذي حرك مشاعره، وأحدث هزة عنيفة بداخله، وفي ذات الوقت شاع خبر في حي المنبوذين بأن ثمة تغير قد طرأ على " بالو "، ولا بد من علاجه فقد مسه جان أو ما شابه، ويسير به أهله في هذا الاتجاه المشعوذ رغم تأكيده بأنه سليم ليس به شيء، وينتقل الخبر إلى حي البراهمة حيث يسمع به الجد الذي يلحظ فعلًا بعض التغيير قد طرأ عليه لكنه لا يستطيع الوقوف على حقيقته، إلى أن يعترف " بالو " أمامه خوفًا من عاقبة الكذب بأن " بالبيشور " قد أسمعه الأناشيد المقدسة، فيبهت

الجد، ويأمره هو نفسه بالكذب وضرورة إخفاء الأمر كي لا يتأذى حفيده، واعدًا إياه بتخفيف عقوبته في المقابل، بيد أنه يكذب عليه ويصب الرصاص في أذنيه مثل أبيه، وإزاء هذا المشهد المروع يصرخ " بالبيشور " بوجوب معاقبته هو الآخر مرتين لأنه سمعها وأسمعها إياه، لكن الجد ينجح بدهائه ومراوغته في إنقاذ نفسه من فضيحة الكذب وإخفاء الحقيقة والانحياز لحفيده، فضلًا عن إنقاذه حفيده من العقاب.

يذهب " بالبيشور " إلى منزل " بالو " للاطمئنان عليه، وعند خروجه يلحظ أنه تم فتح نافذة في الجدار يدخل منها الضياء والهواء، وأنه لم تعد هناك قذارة أو حشرات في فناء المنزل، الأمر الذي جعله أكثر جدية وعزمًا.

وذات يوم يقع في غرام فتاة يتضح فيما بعد أنها " بندبا " الطفلة التي كانت تخدم في بيتهم سابقًا، وتستمر سلسلة لقاءاتهما، ويستطيع " بالبيشور " تغيير وعيها والانطلاق بها إلى رحاب أوسع وآفاق أرحب لتصبح " بندبا " جديدة مختلفة تمامًا عما كانت عليه سابقًا شكلًا ومضمونًا، ويزداد تعلقهما ببعضهما أكثر حتى يعرب " بالبيشور " لوالدته عن رغبته الزواج بها، الأمر الذي يثير دهشة الأم واشمئزازها محاولة إثناءه عن ذلك نظرًا للفرق الطبقي، بيد أنه يصر على رأيه معلنًا أنه سيحضرها إلى هنا كي يتربى ابنه في بيته، وأمام هذا الإصرار تضطر الأم إلى كشف المستور وإخباره بأن جده كان قد أقام علاقة معها إبان طفولتها زمن خدمتها هنا في البيت، وذكرته باليوم الذي كان قد رآها فيه وهي تخرج من غرفة جده باكية شاحبة يقطر الدم من ساريها، الأمر الذي يصيبه بالذهول ويجعله يتذكر حلم طفولته (الثعبان المخيف الذي خرج من غرفة جده، ولدغ الحمام والحملان، ثم عاد إلى غرفة جده مرة أخرى)، ليستقر بعدها في ضميره ضرورة ضرب رأس الثعبان، فقد ارتكب جده خطايا جسيمة؛ لذا يصر على الزواج من " بندبا " وإحضارها إلى البيت، فتخشى أمه أن يسمع أباها بهذا لئلا تقوم القيامة، لكن " بالبيشور " يتمكن من إقناعها بالعقل وبنصوص الأناشيد المقدسة ذاتها التي لم تنص على كونها حكرًا على أحد، بل هي للجميع قاطبة، وإنما يتم إقصاء هؤلاء المنبوذين عن سماعها كي لا تستيقظ

دواخلهم، وتستنير عقولهم، ويرد إليهم وعيهم المسلوب، وفي النهاية تقتنع الأم وتمنحه بركاتها لكنها في ذات الوقت لا تقو على معارضة أبيها، فيقرر " بالبيشور " خوض معركته بمفرده والتي لن تكون معركة سهلة على الإطلاق؛ كونه لا يحارب فردًا، بل نظامًا تليدًا.

وصل خبر رغبة " بالبيشور " الزواج من " بنديا " إلى الجد الذي استشاط غضبًا فور سماعه، وأخذ يدبر حيلة لمنعه بطريقة "تميت الثعبان ولا تكسر العصا"، الأمر الذي ظل يؤرق مضجعه ليال كثيرة، وفي أحد الأيام ذاع خبر في حي البراهمة بأن " بنديا " قد لدغها ثعبان، فانتفض " بالبيشور " فزعًا حتى وصل إلى حي المنبوذين ليجد حبيبته " بنديا " جثة هامدة على الأرض أمام باب بيتها وسط بكاء وعويل الأهل وذهول الجيران من هول المشهد، فتخرج صرخة مدوية من أعماق " بالبيشور " إذ لم تكن " بنديا " مجرد حبيبة فحسب، بل هو من شكلها على يديه ومنحها حياة جديدة مغايرة تمامًا لسابقتها.

ظل " بالبيشور " عقب هذه الحادثة معتزلًا كل شيء تقريبًا، وظل قابعًا في غرفته صامتًا إلى أن دوت في آذانه أبيات من الأناشيد المقدسة جعلت عقله المضطرب يغرق في الفكر، ويشعر ذات يوم وكأنه أصبح كاهنًا كبيرًا ذو نقطة حمراء مشرقة على جبينه، ولحية كثيفة بيضاء، ويجلس على منصة قربان النار، ويأمر الناس بعدم إلقاء قوتهم وغذائهم في النار؛ لأن الإله " آگنى " ليس جائعًا فيطعموه، وإن كان ولا بد من القربان فليس كل قوتهم، بل يكفي التقرب بالقليل منه، فالإله يحب رؤية أتباعه سعداء شبعى، وليسوا تعساء جوعى، فترتفع الأصوات بتأييده، الأمر الذي يغضب الكهنة والبراهمة الأخر. وعقب ذلك ببضعة أيام يعلن السيد " بالبيشور " ضرورة إرسال الجميع هنا أولادهم إلى المدرسة اعتبارًا من اليوم، وسيتم معاقبة من يخالف ذلك، الأمر الذي يذهب تردد الناس ويمسكون بأيدي أولادهم متوجهين بهم إلى المدرسة حيث جذب عقولهم وأذهانهم نغم وسحر الأناشيد المقدسة وتعاليمها، فأخذ التغيير يطال كل تفاصيل حياتهم نحو الأفضل.

وذات يوم حدث ضجيج كبير في حي البراهمة، وعمت الفوضى الأرجاء إذ خرج الناس من منازلهم يهرعون نحو منصة القربان، فدبت الحركة في " باليشور " أيضًا الذي كان يقبع صامتًا في عزلته وهرع إلى هناك، فوجد حشدًا هائلًا من الناس وجوههم شاحبة، وعيونهم ملؤها الخوف بسبب ذلك الثعبان الذي كان يجلس فوق المنصة، ولسانه الأحمر يخرج من فمه مرارًا وتكرارًا، وتبين أنه هو ذاته الذي دخل منزل أحدهم قبل قليل ولدغ الحملان، ولم يجرؤ أحد على التقدم نحوه مطلقًا، فظل " باليشور " محدقًا نظره عليه لفترة ثم وثب نحوه بسرعة ممسكًا برقبته من ناحية فمه ورفعه من على المنصة وسط دهشة وذهول الحاضرين، فحاول الثعبان بكل قوته الخلاص من قبضة " باليشور " لكنه لم يفلح إذ ازداد إحكام قبضته عليه أكثر وأكثر حتى مات بالكلية، فشعر " باليشور " وكأن يديه قد وجدت أخيرًا طريق الوصول إلى القمر المشرق المتلألئ (النقطة الحمراء) على الجبين.

## قضايا الداليت في الهند

تبنى الأديب موقفًا جريئًا بتناوله قضايا دينية حرجة وشائكة انبثقت منها قضايا عديدة أخرى، مثيرًا بشأنها العديد من التساؤلات المنتقاة بعناية فائقة، وبأسلوب يثير ذهن القارئ ويدعوه للتفكر والتأمل فيها، وقد ركزت الرواية بشكل كلي واضح على قضايا الداليت في الهند، عبر شخصيتين محوريتين أحدهما يمثل الداليت، والآخر يمثل البراهمة، في قرية بسيطة في الريف الهندي لتكون نموذجًا واقعيًا لعرض الموضوع بجلاء تام، ومن خلال هذه المفارقة تكشف حال طبقتين متباينتين تمامًا، وتبين مدى تردي منزلة الداليت في المجتمع، وتعدد صور وأشكال استغلالهم إن دينيًا، أم اجتماعيًا، أم اقتصاديًا، أم نفسيًا وجسديًا وغيرها، وتركز الرواية بأكملها على سؤال واحد فقط مفاده ما هو السبب الكامن وراء تخلف واضمحلال هذه الفئة، ولماذا هم مجبرون على تحمل شتى أشكال الاستغلال البشري باعتباره قدرًا لهم؟

وفي محاولة للبحث عن إجابة على هذا السؤال تبرز العديد والعديد من الأسئلة الأخرى الملحة التي تظل تطرق ذهن القارئ بشدة مرارًا وتكرارًا طوال أحداث الرواية من خلال بطلها وأحد شخوصها الرئيسية " باليشور " الذي ينتمي لطبقة البراهمة، لكنه يكره هذه الطبقية الاجتماعية، ويحاول كسر الأصفاد والأغلال التي تقيد هذه الفئة البائسة من المجتمع باسم تعاليم وضعية وتقاليد زائفة، الأمر الذي يتجلى واضحًا من خلال عرض القضايا الآتية:

**أولًا: تردي الأوضاع المعيشية**

يعد سوء وتردي الأوضاع المعيشية لأفراد فئة الداليت من أهم وأخطر القضايا التي تثير قلقًا بالغًا بخاصة لارتباطها بالتمييز والعنصرية، وقد تعرض لها الأديب في مواضع كثيرة متفرقة من الرواية شملت عدة أوجه منها سوء حالة المسكن، والمأكل، وقذارة الأفراد والبيئة المحيطة.

فعندما طلب " باليشور " من خادمه " بالو " اصطحابه إلى منزلهم في حي المنبوذين، صدم الأخير بعنف غير أنه في النهاية أذعن لرغبة سيده الذي شرع في رؤية مشاهد غريبة على ناظريه طوال الطريق إلى هناك، حيث "**أخذت الأزقة الضيقة، والمظلمة، والقذرة، والكريهة، والمليئة بالعفونة والروائح الكريهة جراء الروث والوحل تصيبه بالدوار. وكان يمضي قدمًا مع بالو لكن متاهات الطريق لم تكن تنتهه، إذ كان هذا الحي المكتظ بالسكان منتشرًا مثل أمعاء الثعبان. وأخذ يستقر في عينيه الأطفال البؤساء المنكسرون الحفاة العراة الأقذار السود القبحى الهزلى الواقفون الجالسون مع الثيران والأبقار والجاموس والأغنام والماعز والكلاب والخنازير المقيدة الجالسة الواقفة أمام أبواب البيوت.... كما أخذت تستقر في ذهنه من خلال عينيه الحشرات الزاحفة في البرك الممتلئة عن آخرها بالوحل والمياه ذات الرائحة الكريهة**"[٢٠]، الأمر الذي جعله يشعر بالغثيان.

توقف " بالو " أمام منزل من الطين، ودخل ومعه سيده " باليشور "، "**وبمجرد وصوله إلى الفناء وقعت عيني باليشور على بالوعة حيث اضطر هناك أيضًا إلى رؤية الحشرات الزاحفة والضفادع حولها**"[٢١]، ثم دخل لرؤية " جهگرو " الذي كان يرقد "**في حجرة صغيرة**

**مظلمة فوق قش أرز أصفر متسخ للغاية مفروش على أرض طينية غير ممهدة"[٢٢]، وأخذت أنظاره تجول في جميع أرجاء الغرفة، حيث "كان هناك سقف من القش مثقوب مرفوع على جدران طينية قصيرة، تتدلى منه أنسجة عنكبوت سوداء كثيرة، وكانت الجدران خالية من النوافذ والضياء، وكان مثبتًا في أحدها بضعة مسامير صغيرة معلق عليها ملابس متسخة..... وكان هناك مخاط ملتصق بالجدران في مواضع عدة يطن عليه الذباب..... وعلى الأرض الطينية بالقرب من جهگرو كانت تجلس زوجته بائسة، وكان رضيع هزيل ينهش صدرها الغائر، بينما كان أطفال عراة أقذار يتململون على الأرض، وكان يسيل من أنف أحدهم مخاط أصفر، بينما كانت عيني آخر مليئة بالعماص، وفي إحدى زوايا الحجرة كانت هناك شاة مربوطة يقفز حملان ويشدان ضرعها، وكانت كل أكوام بعر الشاة متناثرة حولها"[٢٣].**

لم يستطع " بالبيشور " التحمل، فخرج عائدًا إلى بيته في حالة مزرية، ليبدأ عقله بعدها في عقد مقارنة تفصيلية بين كل ما رآه هناك في حي المنبوذين، وبين ما يعيش فيه هنا في حي البراهمة من رحابة وضياء ونظافة تامة وهواء عليل ومياه جارية وحدائق غناء، والأدهى من ذلك أن من يقومون بالخدمة والنظافة هم أهل "بالو" أنفسهم، الأمر الذي يزيد من حيرته ودهشته، ثم ينظر إلى أمه متأملًا وجهها ولونها وجمالها وهيئتها ونظافة ساريها ويقول: **"وهناك أم بالو، سوداء للغاية من أعلاها لأسفلها، ويمتلأ خداها بالنمش، ويبدو شكلها مخيفًا، ويظل ساريها قذرًا للغاية..... أمي! لقد رأيت جسد أم بالو قذرًا أيضًا، وبيتها وفناؤها كذلك، بل وحتى أطفالها أقذار، وعلى النقيض من ذلك فإن كل شيء لنا نظيف، ولست أفهم لماذا يُبقي الذين ينظفون بيتنا بيتهم قذرًا؟"[٢٤].**

وذات يوم بينما كان يمر من على الترعة إذ توقف فجأة، **"وغاصت عيناه في المياه ذات الرائحة الكريهة للترعة القذرة، وتركزت على الرجال والنساء والفتية والفتيات الذين يغتسلون فيها، فقد كان الرجال عراة تمامًا وكذلك النساء والفتيات شبه عاريات، إذ**

**لم يكن من ثوب على أجسادهن فوق الظهر**"[٢٥]، فرجع إلى بيته يفكر ويتأمل ويقارن ويطرح الأسئلة في داخله جراء ما شاهدته عيناه، "**وعقب تأمل أجسادهم لفترة انزلقت عيني باليشور وغاصت في المياه القذرة للترعة، وأخذت المياه القذرة الغليظة ذات الرائحة الكريهة القادمة من مصارف المنازل تتغلغل داخل أجساد وقلوب وعقول هؤلاء الرجال والنساء لحظة بلحظة، كما أخذت تُصَعِّد الطبقة الغليظة لقذارتها فوق أجسادهم وعقولهم، وأخذ اللون الداكن للمياه يصبغ كل جزء فيهم بلونه**"[٢٦].

وفي مشاهد أخرى عرض الأديب لسوء حالة المأكل عند الداليت، وذلك عندما وقعت عيني " *باليشور* " فجأة على إناء طعام خادمه "بالو"، فإذ به يقفز إلى مخيلته وعاء كلبه، ويقترب أكثر لرؤية ما بداخله، "**فيندهش عقب رؤية أرز مسلوق رديء أصفر اللون وعدس رديء في إناء مسطح. بالو! هل أحضرت هذا الطعام من مكان آخر؟ خاطب باليشور بالو. ابتلع بالو اللقمة في فمه بسرعة وأجاب: لا، قد أعطته الأم. لكن هذا الطعام لم يُعدّ في بيتنا. لا سيدي، هذا طعام بيتي أنا. لكني قد أكلت شيئًا آخر**"[٢٧].

ثم تأتي الأم وتؤكد لابنها صحة كلام "بالو" بأن هذا فعلًا هو طعام منزله، فيسألها عن سبب هذا؟ ولماذا لم يُعط طعامًا مثل طعامنا؟ فتجيبه الأم: "**لأن هذا هو ما يريده، فطعامنا لن يشبع معدته**"[٢٨]، الأمر الذي يزيد من حيرته ودهشته، فيرد عليه "بالو" قائلًا: "**الأم تقول الصواب سيدي! فلن تشبع معدتنا من طعامكم الفاخر، فذات مرة كان أبي قد أحضر أرزًا مسلوقًا فاخرًا من مكان ما، وعندما أكلته تلاشى بمجرد وصوله إلى المعدة، وشعرت بالجوع مرة أخرى بعد فترة وجيزة**"[٢٩]، فيسأل "باليشور" أمه ثانية عن سبب رغبة "بالو" في الطعام الرديء الذي يهضم ببطء، فتجيبه "**لأنه يكدح بشق الأنفس. ولم هو بذاته يكدح بشق الأنفس؟ ولماذا ليس نحن؟ لأن الإله قد عهد إليه بالكدح والمشقة، وليس نحن. ولماذا هذا يا أمي؟ هذا يعلمه الإله فقط**"[٣٠].

وهنا يتضح بجلاء تام مدى الاستغلال البشري من خلال إقحام الدين حتى في سوء حال طعامهم بدافع رغبتهم الذاتية في ذلك مقابل أن الإله قد عهد إليهم بالقيام بالكدح والأشغال الشاقة المنهكة، فكان لزامًا عليهم تناول الطعام الرديء الذي تأكله حيوانات البيت لأنه يهضم ببطء ويمكث في المعدة طويلًا.

وفي مشهد آخر ركز " باليشور " ناظريه جيدًا على طعام "بالو" حيث "**أدهشه الخبز الناشف مثل قطع الخزف المكسورة والقلقاس المهروس اللزج (العجين) داكن اللون**"[٣١]، فلم يسبق له قط أن رأى مثل هذا الطعام الرديء، فيرغب في تناوله إلا أن أمه تخبره بأنه لن يستطيع هضمه، ولن يستسيغ مذاقه، ومع إصراره وعناده تنصاع له الأم وتحضر له قليلًا من الطعام المخصص لأمثال "بالو"، "**كسر باليشور كسرة صغيرة من الخبز ووضع عليها قليلًا من القلقاس المهروس (العجين) ووضعها في فمه، غير أنه بعد محاولة مضغها بضعة مرات فقط سرعان ما تقيأ اللقمة شبه الممضوغة على الأرض، إذ حدثت حرقة في حلقه، وتدهورت حالة فمه وكأنه تم وضع جمرة فيه**"[٣٢]، فيشرب الماء ليزيل مذاقها، ويتوجه بناظريه إلى "بالو" الذي "**ظل يأكل بارتياح وطمأنينة الخبز الناشف مع القلقاس المهروس، ولم يطرأ على وجهه أي أثر امتعاض من أي نوع**"[٣٣].

ولم يقتصر الأمر على تناولهم أردأ وأحط أنواع الأطعمة، بل وصل إلى زحامهم حول لحم الجيفة والميتة، فعندما كان "باليشور" متجهًا نحو النهر بصحبة خادمه "بالو" إذ به يرى حشدًا من الناس منكبين على شيء ما، وكأن عددًا من قطعان الماشية قد تجمعت حول حزمة من العشب لتأكلها، وكان الجميع يسعى لجذب هذا الشئ ناحيته، فكانت أيديهم وأرجلهم تتشابك مع بعضها البعض خلال هذا التجاذب، فيسأل خادمه عن ذلك فيجيبه: "**سيدي! لقد تجمع الناس من أجل اللحم. لحم! أي لحم؟ أي حيوان ميت. وهل يأخذ الناس لحم هذا الحيوان الميت؟ نعم سيدي. وماذا سيفعلون به؟ سيأكلونه. سيأكلونه؟ نعم**

**سيدي. لكن أكل لحم حيوان ميت محظور. لست أدري سيدي، فهذا هو ما نأكله. أنتم! لماذا تأكلونه؟ من أجل الشبع. تأكلون لحمًا عفنًا من أجل الشبع؟ نعم. هل لا تستكرهون اللحم العفن وتعافونه؟ لا"**(٣٤).

وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تردي أوضاع الداليت المعيشية، ومدى الدمار النفسي الذي يحيا به هؤلاء لدرجة أفقدتهم حتى مجرد القدرة على التمييز، فتساوى عندهم الحسن والقبح، والقذارة والنظافة، حتى صاروا يغتسلون في المياه القذرة للمصارف، ويتهافتون وينكبون على تناول لحوم الحيوانات الميتة العفنة دونما أية كراهة أو معافاة وكأنهم حيوانات بشرية جنبًا إلى جنب مع النسور الجارحة والكلاب الضالة.

**ثانياً: الإنهاك الاقتصادي الدائم باسم الدين**

يعيش الداليت حالة من الإنهاك الاقتصادي الدائم باسم الدين من خلال تقديمهم جل قوتهم وغذائهم قرابينًا للآلهة رغم عوزهم وفقرهم، "**فحتى الآلهة ليست زاهدة، بل لا بد من مراعاة الحوائج الجسدية لها من خلال تقديم القرابين الدورية إليها**"(٣٥)؛ لذا حظيت هذه القضية بأهمية كبيرة في الرواية، فقد عرض الأديب مشهدًا لتصاعد ألسنة اللهب الحمراء من حفرة مربعة في منصة تتوسط الساحة الواقعة وسط حي البراهمة، ويجلس الجد وبعض من الكهنة الآخرين أمثاله –الذين تعلوا جباههم النقطة الحمراء المتلألئة– على المنصة يتمتمون ببعض أجزاء من الكتاب المقدس "الويدا"، بينما يجلس الناس أسفل المنصة محيطين بها من كل جانب لمسافة بعيدة، يتصدرهم البراهمة من ذات الحي في الصف الأول، يليهم أناس آخرون من ذات الحي لبضعة صفوف، ثم يليهم الداليت من حي المنبوذين في بقية الصفوف، ويركز الجميع انتباهه على ألسنة النار المتصاعدة من الحفرة حيث يزداد خفقان قلوبهم مع اشتعالها، ويخفت مع خفوتها، يقول الأديب: "**وباستثناء الصف الأول كان لا بد من وجود أي شيء أمام الناس في جميع الصفوف الأخرى، فإذا كان أمام أحدهم سلة من الغلال، فأمام آخر وعاء من السمن أو الزيت، وإذا كانت سلة أحدهم كبيرة، فسلة آخر صغيرة، وإذا كانت أمام أحدهم برطمانات من السمن، فأمام آخر أكواب من الزيت.**

**كان الناس ينهضون من أماكنهم الواحد تلو الآخر ويتقدمون حاملين معهم سلالهم أو أوعيتهم، ويضعونها عند المنصة ويقفون منحنين أمام النار"**[٣٦].

وعلى فترات وجيزة كان الجد والكهنة الآخرون يقومون بحمل هذه السلال والأوعية متقدمين بها إلى الحفرة المربعة حيث يلقون فيها من مسافة قريبة وهم يتمتمون التعاويذ السمن حينًا، والزيت حينًا، والحبوب والغلال حينًا آخر، الأمر الذي يزيد النار اشتعالًا، فيزداد معها بريق ولمعان النقطة الحمراء على جباه الكهنة، ويعلو بريق النار وجوه الناس وتلمع أعينهم. وبطبيعة الحال كان "باليشور" موجودًا في الصف الأمامي يرقب بعينيه كل شخص يحمل الغلال والسمن والزيت، ليحملق فجأة في جسد رجل انحنى أمام النار ووضع سلة الغلال على المنصة، يقول: **"كان ضوء النار يسقط عن كثب على جسده العاري، وفي هذا الضوء كانت عظام وجهه البارزة قد برزت أكثر، وكانت عظام ترقوته وأضلاعه مرئية بوضوح، وبدا وكأن ألسنة النار تحرق جلد هذا الرجل وتخرج عظامه، وكانت بطنه الغائرة تبدو مثل قِدر متشقق ظل الضوء ينير خُلُوَّه وفراغه، وبدا عقب رؤية هذا الرجل وكأنه تم نصب هيكل عظمي هناك"**[٣٧].

وكعادته يشرع "باليشور" في السؤال عما يجري، فيعرف أن هذا هو قربان النار الذي يتم فيه تقديم الطعام والغذاء من أجل إرضاء الآلهة وإسعادها، فيتساءل عن كون الآلهة تأكل الغلال، وتشرب السمن والزيت حقًا، وإذا لم يكن ذلك كذلك فلم يتم إلقاء كل هذه الأطعمة والأشربة في النار وإحراقها، وهنا يبرز في مخيلته السؤال الأهم: **"لكن لماذا لا توجد أية سلة أو وعاء أمام الجالسين في الصف الأول؟ لماذا لا يرضون الآلهة؟"**[٣٨]. وفي النهاية **"واحدًا تلو الآخر تم تقديم جميع الغلال وجميع السمن وجميع الزيت قربانًا للإله، .....، وعاد الناس أدراجهم إلى بيوتهم بصحبة أوانيهم الفارغة"**[٣٩].

ولا يخفى ما في هذا من إنهاك اقتصادي دائم لهؤلاء البسطاء الفقراء المعدمين الذين لا يجدون ما يسدون به احتياجاتهم الأساسية فضلًا عن قيامهم بتقديم كل ما يملكون من طعام وشراب قربانًا لإله النار "اگنى" إمعانًا في زيادة فقرهم وشقائهم.

**ثالثًا: الحرمان من التعليم**

ذكر الأديب هذه القضية أثناء حوار دار بين كل من "باليشور" وخادمه "بالو" أبرز خلاله مدى حرمان أبناء فئة الداليت بل وعدم مقدرتهم الذهاب إلى المدرسة للتعليم حتى وإن كانت هذه رغبة دفينة بداخلهم. يقول: "**بالو! نعم سيدي، لماذا لا تذهبون إلى المدرسة؟ يقول أبي أننا لا نستطيع الذهاب إلى هناك، لهذا، لماذا؟ حضراتكم الذين تذهبون إلى هناك، ثم ماذا؟ ماذا يحدث جراء ذهابنا؟ لا أدري، هل تريد الذهاب؟ سكت بالو، أخبرني، هل تريد الذهاب إلى المدرسة أم لا؟ نعم أريد ولكن..... ترك بالو الجملة مبتورة**"(٤٠).

**رابعًا: اغتصاب النساء**

تتعرض نساء وفتيات الداليت للاغتصاب والعنف الجنسي الممنهج على نطاق واسع من قبل أفراد الطبقات العليا، حيث يفتقر هؤلاء وبخاصة الريفيات منهن إلى التعليم والعمل فضلًا عن معرفة حقوقهن، إضافة إلى ما يلحق بضحايا الاغتصاب منهن من وصمة الخزي والعار، وتظهر البيانات الحكومية زيادة حالات اغتصاب نساء الداليت المبلغ عنها بنسبة ٥٠% ما بين عامي ٢٠١٤م حتى ٢٠١٩م، لكن في ذات الوقت تظهر الدراسات عدم الإبلاغ عن معظم حالات الاغتصاب هذه نظرًا لغياب الدعم الأسري، وتواطؤ بعض وسائل الإعلام، وكذا إحجام الشرطة عن تسجيل الشكاوى ضد رجال الطبقة العليا(٤١)؛ لذا فإنهن ما زلن حتى اليوم ضحايا لممارسات بهيمية واعتداءات جنسية متكررة في ظل نظام طبقي متجذر وغياب للعدالة.

وقد تناول الأديب هذه القضية الحرجة والخطيرة في طيات روايته، إذ قام الجد رجل الدين البرهمي باغتصاب فتاة صغيرة من الداليت تدعى "بنديا" والتي تعمل خادمة عندهم في البيت، يقول: "**صُدم باليشور عقب رؤية بنديا. فقد خرجت باكية من غرفة الجد، وقد شحب**

**وجهها، وكان شعرها أشعثًا، والدم يقطر من ساريها، وكانت تهرول مسرعة في حالة من الذهول وفقدان الوعي ويديها تغطي فمها"**(٤٢).

لم يستطع "باليشور" فهم حالتها هذه، فهرع إلى غرفة جده يسأله عن ذلك متوهمًا بعقله الصغير البريء أنه ربما قد لدغها ثعبان، لكن الجد يصمت لفترة كونه لا يستطيع إخباره بالحقيقة، ثم يخبره بأنه قد انفقأ خراج في جسدها، الأمر الذي يثير دهشة "باليشور" جراء كمية الدم إذ كيف ينزف كل هذا الدم جراء خراج لدرجة تلطخ الساري، لكن جده يوضح له قائلًا: **"بل ينزف الدم أيضًا، فقد كان هذا خراجًا من نوع آخر. ربما كان كبيرًا جدًا؟ نعم، لقد كان كبيرًا جدًا، ويحوي الكثير من الدم الفاسد لدرجة أن سريري أيضًا تلطخ جراء فقئه، ألا ترى كم بقعة هنا أيضًا. ثبَّت باليشور ناظريه على السرير المفروش على الأرض. فقد كانت تُرى عليه بقع حمراء في كل مكان"**(٤٣).

مرت عدة أيام دون مجئ "بنديا"، فتراكمت أعمال البيت، وتراءى وجه "بنديا" ذلك اليوم في عيني "باليشور"، **"وأخذ شحوب وجهها يقلقه، فقد أضحى الوجه شاحبًا وكأن سائر الدم في جسدها قد نزف جراء فقئ الخراج"**(٤٤). وذات يوم تتعجب الأم من غيابها، فيجيبها "باليشور" بأنه ربما لم يشف جرحها بعد، فتندهش الأم جراء ذلك، وتعرف من مشاهدات ابنها حقيقة الأمر، فتتغير معالم وجهها إلى الجدية الصارمة، وتأمر ابنها بعدم الذهاب هكذا إلى غرفة جده في أي وقت، الأمر الذي يشرع معه ذهن "باليشور" في طرح العديد من الأسئلة التي يصعب عليه الوصول لأجوبتها.

تمر الأيام والسنون، وذات يوم يقع "باليشور" في غرام فتاة يتضح فيما بعد أنها "بنديا" الطفلة التي كانت تخدم في بيتهم سابقًا، ويزداد تعلقهما ببعضهما حتى يعرب "باليشور" لأمه عن رغبته الزواج بها، الأمر الذي يثير استهجان الأم واشمئزازها محاولة إثناءه عن ذلك نظرًا للفرق الطبقي، بيد أنه يصر على رأيه معلنًا أنه سيحضرها إلى هنا كي يتربى ابنه في بيته، فتنزعج الأم جراء ذلك وتضطر لإخباره بوجود عائق آخر يحول دون إتمام رغبته، ومن الأفضل له عدم

معرفته، لكنها أمام إصرار ابنها تقول: "**حسنًا، طالما أنك لا تقتنع فاسمع، الأمر هو ..... انعقد لسان الأم مرة أخرى. نعم نعم، تكلمي يا أمي! ما الأمر؟ قد حدثت علاقة بين بنديا والجد، قالت الأم هذه الجملة بسرعة وطأطأت رأسها. ماذا تقولين يا أمي! هذا ليس صحيحًا، ولا يمكن حدوثه على الإطلاق. هذا صحيح تمامًا، من الممكن أن بنديا لم تكن لديها رغبة في ذلك لكن الجد.... أجابت الأم مطأطئة رأسها.... بنيّ! أتذكر إذ خرجت بنديا باكية من حجرة الجد ذات يوم؟ نعم، أذكر، في ذلك اليوم كان قد انفقأ جرحها في غرفة الجد. لم يكن لدى بنديا أي جرح قد انفقأ، ولم يكن نزيف دمها جراء جرح..... لا تكملي يا أمي! لقد فهمت. وجه بنديا الشاحب، وساريها الملطخ بالدم، والدموع المنهمرة من عينيها، وهرولتها في حالة من الذهول ويدها على فمها، برزت المشاهد واحدًا واحدًا**"[٤٥].

**خامساً: توظيف الدين لخدمة مصالح البراهمة**

عرض الأديب قضية جوهرية مهمة ألا وهي توظيف الدين لخدمة مصالح البراهمة وذويهم وأفراد الطبقات العليا بصفة عامة، وتبرير الأخطاء الفادحة التي قد يرتكبها محتكري الدين هؤلاء حتى لو وصل الأمر إلى لَيِّهم عنق الدين، وتلاعبهم بنصوصه، وتحميلهم العذاب لأحد المنبوذين مقابل نجاة سيده وإفلاته من العقاب، فعندما شاع الخبر في حي المنبوذين بأن ثمة تغير قد طرأ على " *بالو* "، وتناقلته الألسنة حتى بلغ مسامع الجد البرهمي الذي يلحظ فعلًا بعض التغيير قد طرأ عليه من نظافة جسده، وإشراق وجهه، وعافية بدنه، لكنه لا يستطيع الوقوف على حقيقة الأمر، فيسأله عن ذلك محذرًا إياه من الكذب، وموضحًا له أن الكذب ذنب عظيم، وإثم كبير يعاني صاحبه آلامًا وأمراضًا معضلة في الحياة كالبرص والجذام، ويودي به في النهاية إلى النار وما يلحق روحه فيها من عذاب وآلام، فيرتعد وجه "بالو" من هول ما سمع جراء سوء عاقبة الكذب، فيقول له الجد: "**لذا يجب على الإنسان اجتناب الكذب وقول الصدق على الدوام، ولهذا يقول الإله أنه يجب على الإنسان قول الصدق حتى في قلب النار**"[٤٦].

وبعد ذلك يطلب الجد من "بالو" إخباره بالحقيقة، وهل سمع الأناشيد المقدسة أم لا؟ مستخدمًا الترهيب والترغيب بقوله: **"إذا لم تقل الحقيقة فسوف يُعاقب بشدة من أسمعك الأناشيد المقدسة، وقد علمتُ بهذا الأمر، وأريد الآن سماعه منك فقط، وإذا قلت الحقيقة فلن أعاقبك بشدة، بل عقابًا بسيطًا وأتركك"**[٤٧].

وأمام هذا كله، فضلًا عن ثقة "بالو" المطلقة في الجد رجل الدين البرهمي، والصورة الذهنية المثلى له في مخيلته، علاوة على وعده الجازم له بأنه سينال عقابًا خفيفًا ويتركه، وكذلك سيترك من أسمعه الأناشيد المقدسة، يعترف " *بالو* " أمامه بأن حفيده " *باليشور* " قد أسمعه عمدًا الأناشيد المقدسة، فيبهت الجد، إذ لو علم الناس بهذا فسيعاقب حفيده أيضًا، فيشرع ذهنه في البحث عن مخرج لإنقاذ حفيده من العقاب، وعندما يتيقن من مدى احترام وتوقير "بالو" لسيده "باليشور"، واستعداده لفعل أي شيء من أجله، إذ به يأمره هو نفسه بالكذب، وضرورة قلب الحقيقة كي لا يتأذى حفيده، يقول: **"إذن أنصت جيدًا لما أقول. نعم سيدي. لا تقل في المجلس غدًا أن باليشور أسمعك عمدًا الأناشيد المقدسة، بل قل إنك استمعت إليها خفية بينما كان باليشور يقرؤها. ولكن هذا سيكون كذبًا سيدي، وإذا كذبت فسأُطرح في النار، وسيتفشى الجذام في جسدي، .....، لا! ليس هذا هو الكذب الذي يودي بالإنسان إلى النار، ويتفشى به الجذام، بل إنك ستؤجر وتثاب جراء هذا الكذب. سأؤجر وأثاب! كيف ذلك سيدي؟ إنك لن تكذب من أجل نفسك، بل من أجل سيدك؛ لذا ستؤجر وتثاب"**[٤٨].

لم يختمر ذلك الأمر في عقل "بالو" جيدًا إذ لماذا سيؤجر ويثاب جراء الكذب من أجل السيد، وفي النهاية نقض الجد رجل الدين البرهمي وعده معه، بل وكذب عليه أيضًا بمعاقبته بشدة، وهكذا يتضح جليًا كيف وظف هذا الجد مكانته الدينية وتعاليم دينه في التلاعب بعقل هذا الشاب البسيط، وكيف طوع الدين دفاعًا عن حفيده كي لا تتم معاقبته ولو على حساب

ما يخالف ثوابت الدين التي كان هو نفسه يعظ بها، فالكذب هو الكذب، وعاقبته هي ذاتها، ولكنه التوظيف الصارخ للدين بما يخدم المصلحة الشخصية.

**سادساً: حظر سماع الأناشيد المقدسة**

تناول الأديب هذه القضية الدينية الحرجة والشائكة في مطلع روايته، إذ بدأها بمشهد مروع يخلع القلوب لأحد أفراد طبقة الداليت يدعى " جهگرو " يتم تعذيبه وعقابه بوحشية على يد أحد محتكري الدين المتحدثين باسم الإله والأحكام الدينية من طبقة البراهمة، فيرتاع الطفل البرئ " باليشور " جراء هذا المشهد، في حين أن جده الكاهن البرهمي تملؤه السكينة والطمأنينة، فيرغب الطفل في معرفة سبب عقاب " جهگرو " على هذا النحو، فيجيبه الجد بأنه اقترف ذنبًا عظيمًا، وخرق القواعد والتعاليم التي وضعها الإله "براهما" من خلال استماعه للأناشيد المقدسة التي لا يجب عليه سماعها. يقول الأديب: **"جدي! لماذا تم تعذيبه؟ سأل بقلق. بني! لقد تمت معاقبته. أجاب الجد بطمأنينة ووضوح. ولكن لماذا يا جدي؟ لقد اقترف ذنبًا، وخرق القانون. أي قانون يا جدي؟ ذلك الذي سنه الإله براهما. لقد ارتكب جرمًا عظيمًا، لقد سمع ما لا يجب عليه سماعه. جدي! ما الذي سمعه ولا يجب عليه سماعه؟ لقد سمع الأناشيد المقدسة"**(٤٩).

وعندما يعجب الطفل من هذا يشرع في سؤال جده مرة أخرى. يقول: **"جدي! إنما جُعلت الأناشيد المقدسة من أجل سماعها، فلماذا يعد سماعها ذنبًا؟ وإذا كان كذلك فإنا وإياك أيضًا نسمعها، ولم يُصبَّ الرصاص في أذننا أبدًا؟ أيها الأحمق! لماذا سيصب الرصاص في أذننا وهي في الحقيقة لها، إنما هي ذنب بالنسبة له. ولماذا ذنب بالنسبة له يا جدي؟ لأنه ليس منا. ولماذا هو ليس منا؟ لأنه مغاير لنا"**(٥٠).

لا يستوعب عقل الطفل " باليشور " هذا، فهو بشر مثلنا تمامًا، علاوة على هدوء جده العجيب رغم أن " جهگرو" " هذا خادمه، غير أنه لم يشفق عليه إزاء صرخاته ودمائه النازفة، الأمر الذي ظل يقرع ذهنه بشدة للحصول على إجابة لتساؤلاته، إلى أن يسأل معلمه في

المدرسة عن هذا خاصة وأنه رأى مثل كلام جده مكتوبًا بأحرف كبيرة على جدرانها، فيجيبه المعلم بقوله: **"جواب سؤالك الأول هو أننا خلقنا من الرأس بينما "جهگرو" من القدم، دهش "بالك" من هذا الجواب وأخذ ينظر تجاه معلمه، يبدو أنك لم تفهم، نعم معلمي، الأمر هو أن الإله براهما كان قد خلقنا أي آباؤنا الأولون من رأسه، وأخرج آباء "جهگرو" الأولون من قدمه، والفرق الكائن بين الرأس والقدم هو ذاته بيننا وبين "جهگرو"، فنحن نسكن الرأس و"جهگرو" القدم، الرأس في الأعلى والقدم في الأسفل"**[٥١].

وفي مشهد آخر نجد صدى لذات القضية عندما يتكرر ذات الأمر مع الشاب " بالو " الذي أسمعه " باليشور " الأناشيد المقدسة، فيبهت الجد البرهمي، ويقوم بتعذيبه وصب الرصاص في أذنيه تمامًا مثلما حدث مع أبيه " جهگرو " قبلًا. يقول: **"أحضروه! ارتعدت أفئدة أكثر من نصف الحاضرين جراء هذا الصوت الصادر من الجد، وتم على الفور إحضار شاب مقيد اليدين والرجلين بحبل قوي أمامه، أركعوه، وبمجرد سماع هذا الصوت تم طرح هذا الشاب أرضًا مثل الحيوان، فنهض الجد من مكانه، وتقدم للأمام، ورفع القِدر بيديه بحذر وسكب المادة المغلية فيه في أذن الشاب"**[٥٢].

ويأتي هذا الفعل مصداقًا لما ورد في كتبهم الدينية؛ حيث ورد ما نصه: **"ومن شرائع "منو": "ويأمر الملك بصب زيت حار في فم الشودري وفي أذنيه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأيًا للبراهمة في أمور وظائفهم"**[٥٣]، وهكذا يتضح أن الآريين **"أصدروا حكمًا بخصوص الفيدا بوجوب صب الرصاص في آذان الشودرا إذا استمعوا إلى أبياتها. كان الهدف من حظر الفيدا على هذه الطبقة خصيصًا هو إجبارها ذهنيًا على أن تحيا حياة الذلة والمهانة للأبد معترفة بدونيتها، وبالتالي فإن هدفها في الحياة هو**

**خدمة الطبقات الأعلى، ومضت هذه الطبقة المضطهدة والمستغلة حتى صار يطلق عليها الداليت"**(٥٤).

**سابعاً: حظر ذكر اسم الإله على ألسنتهم**

عرض الأديب هذه القضية في ثنايا مشهد معرفة الجد بأن حفيده "باليشور" قد ذهب إلى حي الداليت المنبوذين بصحبة خادمه "بالو"، وأن حالته الصحية قد ساءت جراء عدم تحمله ما شاهدته عيناه هناك، فشرع يوبخ "بالو" ويتوعده، فأقسم الأخير بأنه لا ذنب له فيما حدث، فما كان من الجد إلا أن قطع حديثه زاجرًا له لأنه نجس لا يجوز له ذكر اسم الإله. يقول الأديب: **"قسمًا بالإله سيدي! ليس لي ذنب في هذا على الإطلاق، اخرس يا عديم النظر! تذكر اسم الإله بروحك القذرة! سامحني سيدي! لقد نسيت"**(٥٥).

**ثامناً: التعرض للإهانة والتهديد والوعيد**

عرج الأديب على هذه القضية في ثنايا مشهد معرفة الجد بأن الخادم "بالو" قد اصطحب حفيده "باليشور" إلى بيته في حي الداليت، الأمر الذي أدى لتدهور حالة حفيده الصحية، فشرع يوبخ "بالو" ويتوعده. يقول الأديب: **"يا ابن الخنزير! لقد اصطحبت باليشور إلى بيتك، كيف تجرأت على القيام بهذا؟ إن حدث شيء لصغيري بالك فسأدفنك حيًا، .....، اخرس واسمع! إن اصطحبت باليشور مرة أخرى إلى حي المنبوذين فسأكسر رجليك"**(٥٦).

**مسرد بأهم الألفاظ الهندية الواردة في الرواية**

| اللفظ بالأردية | اللفظ بالهندية | المرادف العربي |
|---|---|---|
| آدر | आदर | احترام، توقير |
| آشے | आशय | معنى، مراد |
| آنند | आनंद | سعادة، راحة |
| آوَشیکتا | आवश्यकता | ضرورة، حاجة |
| آیُو | आयु | عُمر |
| اپرادھ | अपराध | ذنب، جريمة |
| اپرادھ کرنا | अपराध करना | ارتكب جريمة |
| اپیوگ | उपयोग | استعمال |
| اُتّر | उत्तर | إجابة |
| اتھوا | अथवा | أو، إما |
| اِچھا | इच्छा | رغبة، إرادة |
| ارتھ | अर्थ | معنى، مراد |
| ارتھات | अर्थात | مثلًا، يعني |
| اڑچن | अड़चन | عقبة، عائق |
| اِستری | स्त्री | امرأة، زوجة |
| اِستھان | स्थान | معبد، مسكن |
| اِستھان کرنا | स्थान करना | يسكن، يقيم |
| استھی | अस्थि | عظام |

| | | |
|---|---|---|
| اشلوک | अश्लोक | بيت شعري من الفيدا |
| اگنی | अग्नि | النار، إله النار |
| اَنّ | अन्न | غلة، غذاء |
| انتر | अंतर | فرق، تفاوت |
| اُنڈیلنا | उँडेलना | يصب، يسكب، يُفرغ |
| انوکول | अनुकूल | مطابق، موافق |
| انیتھا | अन्यथा | وإلا |
| اوبڑ کھابڑ | ऊबड़-खाबड़ | وعر، غير ممهد |
| اوجھا | ओझा | ساحر، دجال |
| اوشدھ | औषध | دواء |
| اَوَشیَہ | अवश्य | يقينًا، بالتأكيد |
| ایشور | ईश्वर | الإله، الرب |
| ایوم | एवं | مثل هذا، هكذا |
| باسن | बासन | إناء، وعاء |
| بامھن ٹولہ | बाम्हन टोला | حي البراهمة |
| بِچھاون | बिछावन | سرير، ملاءة |
| بِراجمان | बिराजमान | منير، مُتصدِّر |
| بھاگی | भागी | شريك، مستحق |
| بھاوک | भावक | صديق، عاشق |
| بھوجن | भोजन | طعام |

| | | |
|---|---|---|
| بُھول بُھلَیاں | भूल-भुलय्याँ | متاهة الطرق |
| بھومی | भूमि | الأرض |
| بھونچکاہونا | भौंचक्का होना | يعجب، يحتار |
| بھیتر | भीतर | داخل، وسط |
| بھے بھیت | भयभीत | خائف، مذعور |
| بیتال | बेताल | عفريت، شبح |
| پاپ | पाप | ذنب، تقصير |
| پاٹھ شالہ | पाठशाला | مدرسة |
| پالن پوشن | पालन-पोषण | تربية |
| پچنا | पचना | يُهضم، يُبلع |
| پَدھارنا | पधारना | يأتي، يجلس |
| پرایا | पराया | أجنبي |
| پرتھم | प्रथम | الأول، السابق |
| پرساد | प्रसाद | قربان الإله، فضل، سعادة |
| پرسَن | प्रसन्न | راضي، سعيد |
| پرِشرَم | परिश्रम | الكدح، الجِدّ |
| پرشن | प्रश्न | سؤال |
| پسلی | पसली | ضِلع، جانب |
| پشو | पशू | حيوانات، أنعام |
| پنجر | पंजर | هيكل، قالب |

| | | |
|---|---|---|
| پنکتی | पंक्ति | صف، سلسلة |
| پُنیہ | पुण्य | ثواب |
| پیڑ | पीड़ | ألم، أذى |
| پیڑت | पीड़ित | متألم، ضحية |
| تُرنت | तुरंत | فورًا، سريعًا |
| تِلک | तिलक | مادة حمراء توضع على الجبين |
| ٹیکا/ٹیکہ | टीका | مادة حمراء توضع على الجبين |
| جیوا | जीव | روح، حياة |
| جیوِت | जीवित | حياة، حي |
| چپ‌چپا | चिपचिपा | لزج |
| چَکِت | चकित | متحير، قلق |
| چِکنا | चिकना | دهني، دسم، أملس، نظيف |
| چمتکار | चमत्कार | معجزة، مفاجأة |
| چمٹولی | चमटोली | حي المنبوذين |
| چن تت | चिंतित | قلق |
| چَوکور | चौकोर | مربع |
| چھپر | छप्पर | سقف من قش |
| چھٹپٹاہٹ | छटपटाहट | اضطراب |
| چھو منتر | छू मंतर | سحر |
| چھو منتر ہو جانا | छू मंतर हो जाना | يختفي، يتلاشى |

| | | |
|---|---|---|
| داس/داسی | दास/दासी | خادم/ خادمة |
| دُربل | दुर्बल | ضعيف، هزيل |
| دُساہس | दुस्साहस | جرأة كبيرة |
| دِشٹ | दिष्ट | نظر |
| دُشٹ | दुष्ट | سيئ، فاسد |
| دنڈدینا | दंड देना | يعاقب |
| دنڈت | दंडित | معاقب |
| دوش | दोष | ذنب، خطأ |
| دِوّیہ بانی | दिव्वय वाणी | التعاليم المقدسة |
| دہلنا | दहलना | يخاف، يفزع، يرتعد |
| دیا | दया | رحمة، شفقة |
| ڈانگر | डाँगर | حيوان |
| ڈراؤنی | डरावनी | مخيف، مرعب |
| رِجھانا | रिझाना | يُسعد، يُفرح |
| رکت | रक्त | دم |
| روک‌ٹوک | रोक-टोक | عقبة، عائق |
| روگ | रोग | ألم، مرض |
| سامگری | सामग्री | متاع، شئ |
| ساہس | साहस | جرأة، شجاعة |
| سبھا | सभा | مجلس، اجتماع |

| | | |
|---|---|---|
| سپنا | सपना | المنام |
| ستیہ | सत्या | الحق، الصدق |
| سدیو | सदैव | دائمًا |
| سگندھ | सुगंध | رائحة ذكية |
| سمبندھ | संबंध | علاقة، صلة |
| سنتان | संतान | نسل، عائلة |
| سَننا | सनना | يتلوث |
| سنیاس | सन्यास | الزهد |
| سوارتھ | स्वार्थ | أنانية |
| سواستھ | स्वस्थ | صحة |
| سوامی | स्वामी | مالك، سيد |
| سیوک | सेवक | عابد، خادم |
| شانت | शांत | سكون، طمأنينة |
| شت | शत | مائة |
| شراپ | श्राप | لعن، سب |
| شرم | श्रम | مجهود، مشقة |
| شریر | शरीर | بدن، جسد |
| کٹھن | कठिन | شديد، صعب |
| کرم جلی | कर्मों-जली | منحوس، تعس |
| کرودھ | क्रोध | غضب |

| | | |
|---|---|---|
| کَشٹ | कष्ट | ألم، عذاب |
| کلیان | कल्याण | رفاهية، سعادة |
| کنتو | किंतु | لكن، إلا أن |
| کوڑھ | कोढ़ | برص، جذام |
| کیول | केवल | فقط |
| گدلا | गदला | عكر، قذر |
| گربھ وتی | गर्भ-वती | حامل |
| گھاؤ | घाओ | جرح |
| گِھنونی | घिनौनी | كريه، قذر |
| گھور | घोर | مخيف، مهيب |
| گِیات ہونا | ज्ञात होना | يعلم، يعرف |
| لجّت | लज्जित | خجِل |
| مانس | मांस | لحمة، شهر |
| مٹ میلا | मट-मैला | قذر جدًا، داكن |
| مریادا | मर्यादा | الوقار والكرامة |
| مسکان | मुस्कान | ابتسامة |
| مُکھ | मुख | فم، وجه |
| منتر | मंतर | سحر، جزء من الويدا |
| منش/مانش | मानुष | إنسان |
| مَنُشیہ | मनुष्य | إنسان |

| | | |
|---|---|---|
| موری | मूरी | بالوعة |
| میمنا | मिमना | الحَمَل |
| ناتا | नाता | علاقة |
| نَرَک | नरक | جحيم، نار |
| نِکھرنا | निखरना | يلمع، يبرق |
| ہانڈی | हाँडी | قِدر |
| ہٹ کرنا | हट करना | يخالف، يعاند |
| ہردیہ | हृदये | قلب، ضمير |
| ہڑبڑاکر | हड़बड़ा कर | مذعورًا، منزعجًا، مضطربًا |
| ہون | हवन | قربان النار |
| واستَو | वास्तव | صدقًا، حقًا |
| وِپَریت | विपरीत | عكس، خلاف |
| وچن دینا | वचन देना | يَعِد |
| ودھاتا | विधाता | الإله براهما |
| ودھان | विधान | القانون |
| ورجت | वर्जित | ممنوع، محظور |
| وردھ | विरुद्ध | ضد، خلاف |
| وِستارسے | विस्तार से | بالتفصيل |
| وستو | वस्तू | شيء، جسم |
| وِش | विश | سُمّ |

| | | |
|---|---|---|
| وشرام | विश्राम | راحة |
| وِواه | विवाह | زواج |
| ویاكُل | व्याकुल | حائر، متألم |
| ویکتی | व्यक्ति | شخص |
| يُدھ | युद्ध | حرب |
| يدی | यदि | إذا، لو |
| يوگيہ | योग्य | لائق، مناسب |
| يوون | यौवन | شباب، حيوية |

## الخاتمة

**من خلال هذه الدراسة الموضوعية لقضايا الداليت في الهند في ضوء رواية "دويہ بانی: التعاليم المقدسة" نخلص إلى النتائج الآتية:**

- **التقسيم الطبقي في الهند ضارب بجذوره في أعماق التاريخ ما قبل الميلاد، ومتجذر في أعماق المجتمع الهندي، وقائم على أساس الدين والعقيدة من خلال نصوص وتعاليم الكتب الدينية المقدسة، وعليه لم يكن هذا التقسيم الطبقي أو هذا التمايز بين أفراد المجتمع الهندي نتاج سلطة غاشمة أو جائرة، بل بمقتضى ديني، وأمر إلاهي.**
- **يرتكز النظام الطبقي في الهند على مواضع خلق الطبقات الأربع من الإله الواحد العظيم "براهما"، الذي خلق الخلق على هذا النحو، وعليه وجدت حدود صارمة بين الطبقات وجب احترامها، ولا يجوز لأي شخص تخطيها، وإلا فقد ارتكب إثمًا عظيمًا.**
- **يتسم النظام الطبقي في الهند بالجمود والديمومة؛ نظرًا لارتباطه الوثيق بالدين والعقيدة؛ لذا يصعب التغيير فيه لأنه سيكون بمثابة تغيير في العقيدة ذاتها.**

- تعرض المنبوذون أو المهمشون في الهند على مر العصور – وما زالوا – لمختلف أنواع الظلم والقهر والاستغلال البشري، والأدهى من ذلك أنهم لا يحاولون تغيير واقعهم المرير هذا نظرًا لارتباطه بالعقيدة والدين أيضًا من حيث إن هذا قدرهم جراء ذنوب وخطايا ارتكبوها في الحياة السابقة، وبالتالي فإنهم مسئولون، ويلقون جزاء ما اقترفوا من آثام.
- يعيش الداليت في حالة مزرية من الدمار النفسي لدرجة ألفوا معها القذارة في كل شيء سواء في أنفسهم، أو مسكنهم، أو مأكلهم، أو بيئتهم المحيطة دونما أي إدراك أو شعور، حتى أضحوا لا يميزون بين الجيد والرديء، والطازج والعفن، بل وبلغ بهم الأمر إلى أكل لحم الميتة دونما تأفف أو معافاة.
- يواجه الداليت العديد من القضايا الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها والتي مرد أغلبها تعاليم وضعية وتقاليد زائفة؛ لذا يحاول جاهدًا بطل الرواية البرهمي "باليشور" تغيير هذا الواقع المرير من الطبقية الاجتماعية المقيتة باسم الدين إلى عالم جديد يتاح فيه التعليم ونشر التعاليم المقدسة بين الداليت، ويُمنع فيه استغلالهم الاقتصادي باسم قرابين النار، وتسود فيه العدالة الاجتماعية بين الجميع.
- اعتمدت رواية " **دوبه بانى**: التعاليم المقدسة" على الأسلوب الاستفهامي الذي يثير ذهن القارئ، ويدعوه للتفكر والتأمل بشأن العديد من الأسئلة المثارة، والتي يصعب الإجابة عليها بسهولة، ومن هنا فإنها تعد رسالة صحوة ووعي حقيقيين إلى الأوساط المثقفة خاصة، والمجتمع الهندي بأسره عامة بضرورة رفع أشكال الظلم والمعاناة والاستغلال عن كاهل هذا القطاع العريض من المنبوذين أو المهمشين، وتوفير سبل العيش الآدمي الكريم لهم عبر إعادة النظر بروية وعقلانية في هذه التساؤلات بحيادية تامة ودونما أية مآرب شخصية أو طبقية.

# الهوامش

(١) للمزيد راجع/ محمد انعام الحق ، مقالة بعنوان "حصارِ رنگ"، ماہنامہ "چہار سو"، راولپنڈی، جلد ٢٨، شمارہ: مئی اور جون ٢٠١٩ء، ص٦،٧. انظر أيضًا، سيرة الأديب الذاتية المنشورة على الموقع الرسمي للجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند.
https://jmi.ac.in/Academy-Of-Professional-Development-Of-Urdu-Medium-Teachers/Former-Faculty-Members/1563/Ghazanfar_Ali(Retd.) 27/10/23

(٢) مُحَمَّد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧٠. انظر أيضًا، أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، دار العلوم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، أكتوبر ٢٠١٩م، ص ٣٥.

(٣) مُحَمَّد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص ٧١. انظر أيضًا، أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، ص ٣٦، ٣٧.

(٤) مُحَمَّد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص ٧٢.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٦) المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٨) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٩) المصدر السابق، ص ٤١٦.

(١٠) المصدر السابق، ص ٧٢.

(١١) أحمد شلبي (دكتور)، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥٤، ٥٥.

(١٢) أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، ص ٣٧، ١٧٦.

(١٣) راجیسور راؤ اصغر، ہندی اردو لغت، انجمن ترقی اردو، پہلی اشاعت، کراچی، پاکستان، ١٩٩٧ء، ص٣١٦. انظر أيضًا،
https://rekhtadictionary.com/meaning-of-dalit?keyword=dalit 30/10/23

(١٤) مُحَمَّد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص ٧١. انظر أيضًا، أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، ص ٣٦، ٣٧.

**(15)** https://www.britannica.com/topic/Dalit 31/10/23

(١٦) بهيمراو رامجي أمبيدكار (١٤ أبريل ١٨٩١م– ٦ ديسمبر ١٩٥٦م): زعيم الداليت، ووزير القانون في الحكومة الهندية (١٩٤٧م– ١٩٥١م)، ولد لعائلة من الداليت في غرب الهند، وحصل على منحة دراسية حيث درس بجامعات في الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا، وعقب عودته سرعان ما أسس زعامته بين الداليت، ونجح في

الحصول على تمثيل خاص بهم في المجالس التشريعية للحكومة، وفي عام ١٩٤٧م أصبح وزيرًا للقانون، وقام بدور بارز في صياغة الدستور الهندي، واستقال من منصبه عام ١٩٥١م، وفي أكتوبر ١٩٥٦م تخلى عن الهندوسية واعتنق البوذية اعتراضًا على استمرار التمييز والنبذ ضد الداليت. للمزيد راجع،

https://www.britannica.com/biography/Bhimrao-Ramji-Ambedkar 31/10/23

(١٧) أحمد شلبي (دكتور)، أديان الهند الكبرى، ص ٥١، ٥٢. انظر أيضًا،

https://www.ida2at.com/dalits-in-india-pariahs-from-birth 31/10/23

(١٨) دستور الهند، ترجمة: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، سفارة الهند بالقاهرة، ٢٠١٤م، ص ٦– ١١. انظر أيضًا، أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، ص ٢٣، ٣٧. أيضًا، أحمد شلبي (دكتور)، أديان الهند الكبرى، ص ٥٢. أيضًا،

https://www.britannica.com/biography/Bhimrao-Ramji-Ambedkar 31/10/23

**(19)** https://www.skynewsarabia.com/world/967433 31/10/23

https://www.ida2at.com/dalits-in-india-pariahs-from-birth 31/10/23

(۲۰)"تنگ، تاریک، گندی، گھنونی، گوبر اور کیچڑ میں سنی تعفن بھری گلیاں اسے چکر میں ڈالنے لگیں- بالو کے ساتھ وہ آگے بڑھتا جارہا تھا مگر راستے کی بھول بھلیاں ختم ہونے میں نہیں آرہی تھیں- گھنی آبادی والی یہ ٹولی سانپ کی آنت کی طرح پھیلی ہوئی تھی- مکانوں کے دروازوں کے آگے بندھے، بیٹھے، کھڑے بیل، گائے، بھینس، بھیڑ، بکری، کتا، سوَر کے ساتھ کھڑے، بیٹھے، لوٹتے، ہلگتے، موتتے، ننگ دھڑنگ، میلے کچیلے، کالے کلوٹے، ٹیڑھے میڑھے، بے ڈول مریل بچے بھی اس کی آنکھوں میں سمانے لگے-...- کیچڑ اور بدبودار پانی سے لبالب بھری نالیوں میں کلبلاتے ہوئے کیڑے اس کی آنکھوں کے راستے سے دماغ میں گھسنے لگے"غضنفر، دویہ بانی، بشری پبلی کیشنز، علی گڑھ، ۲۰۰۰ء ص ۱۴، ۱۵.

(۲۱)"آنگن میں پہنچتے ہی بالک کی نظر نابدان پر پڑی- وہاں بھی اسے کلبلاتے ہوئے کیڑے اور نالی کے ارد گرد رینگتے ہوئے دم دار پلو دکھائی پڑے"غضنفر، دویہ بانی، ص ۱۵.

(۲۲)"ایک کال کوٹھری کے اوبڑ کھابڑ کچے فرش پر بچھے پیلے مٹ میلے پیال کے اوپر"غضنفر، دویہ بانی، ص ۱۵.

(۲۳)"مٹی کی بونی دیواروں پر پھوس کا چھدرا ہوا چھپر ٹنگا تھا جس سے کالے کالے جالے لٹک رہے تھے- دیواریں کھڑکی اور روشن دان سے خالی تھیں- ایک طرف کی دیوار میں کچھ کھونٹیاں گڑی تھیں جن پر میلے کچیلے کپڑے لٹک رہے تھے-.... دیواروں پر جگہ جگہ رینٹ چپکی ہوئی تھی جس پر مکھیاں پھنک رہی تھیں-.... کچے فرش پر جھگرو کے پاس ہی اس کی بیوی من مارے بیٹھی تھی- ایک چھوٹا سا مریل بچہ اس کی پچکی ہوئی چھاتی کو بھنبھوڑ رہا تھا- اور ننگ دھڑنگ میلے کچیلے بچے زمین پر لوٹ رہے تھے- ایک کی ناک سے پیلی رطوبت بہہ رہی تھی- دوسرے کی آنکھیں کیچ سے بھری ہوئی تھیں- کوٹھری کے ایک کونے میں ایک بکری بندھی تھی جس کے تھنوں کو دو مہینے اچھل اچھل کر کھینچ رہے تھے- بکری کے آس پاس ڈھیر ساری مینگنیاں بکھری پڑی تھیں"غضنفر، دویہ بانی، ص ۱۶، ۱۷.

(۲۴)"ایک بالو کی ماں ہے-اوپر سے نیچے تک کالی کلوٹی-اس کے گال دھبوں سے بھرے پڑے ہیں-دیکھنے میں وہ ڈراؤنی لگتی ہے-اس کی ساڑی کتنی میلی رہتی ہے....ماں! میں نے دیکھا کہ بالو کی ماں کا شریر بھی میلا ہے-اس کا گھر آنگن بھی میلا ہے-اس کے بچے بھی میلے ہیں-اس کے وپریت ہمارا سب کچھ صاف ستھرا ہے-میری سمجھ میں نہیں آتا کہ جو لوگ ہمارے گھر کی صفائی کرتے ہیں، وہ اپنے گھر کو گندا کیوں رکھتے ہیں؟"غضنفر، دویہ بانی، ص۱۸،۱۹.

(۲۵)"نگاہیں گندے نالے کے بدبودار پانی میں ڈبکیاں لگا کر نہا رہے مرد، عورت، لڑکے اور لڑکیوں پر مرکوز ہو گئیں-مرد تو بے لباس تھے ہی عورتیں اور لڑکیاں بھی تقریباً ننگی تھیں-ان کے جسم پر کمر سے اوپر کوئی بھی کپڑا نہیں تھا"غضنفر، دویہ بانی، ص۱۱۹.

(۲۶)"بالیشور کی نظریں کچھ دیر ان کے جسموں پر رینگنے کے بعد پھسل کر نالے کے گندے پانی میں اتر گئیں-گھروں کی نالیوں سے نکلا ہوا گندا گاڑھا بدبودار پانی لمحہ لمحہ ان مردوں اور عورتوں کے جسم، ان کے دل اور دماغ میں گھسنے لگا-اپنی گندگی کا گاڑھا لیپ ان کے تن من پر چڑھانے لگا-پانی کا مٹ میلا رنگ ان کے انگ انگ کو اپنے رنگ میں رنگنے لگا"غضنفر، دویہ بانی، ص۱۲۱.

(۲۷)"پچکے ہوئے برتن میں پیلے رنگ کے موٹے چاول کا بھات اور کھساری کی دال دیکھ کر وہ چونک پڑا-بالو! یہ بھوجن کہیں اور سے لائے ہو؟ بالک نے بالو کو مخاطب کیا-بالو نے منہ کا نوالا جلدی سے نگل کر جواب دیا: نہیں تو، ماتا جی نے دیا ہے-پر نتو ہمارے گھر میں تو یہ بھوجن بنا نہیں-نہیں سوامی! یہ اپنے ہی گھر کا بھوجن ہے-کنتو میں نے تو کچھ اور کھایا ہے"غضنفر، دویہ بانی، ص۲۴.

(۲۸)"اس لئے کہ اسے ایسا ہی چاہیے-ہمارے بھوجن سے اس کا پیٹ نہیں بھرے گا"غضنفر، دویہ بانی، ص۲۵.

(۲۹)"ماتا جی ٹھیک کہتی ہیں سوامی! آپ کے مہین بھوجن سے ہمارا پیٹ نہیں بھرے گا-ایک بار باپو کہیں سے مہین چاول کا بھات لے آیا تھا-کھایا تو پیٹ میں جاتے ہی چھو منتر ہو گیا-کچھ دیر کے بعد پھر سے بھوک لگ گئی"غضنفر، دویہ بانی، ص۲۵.

(۳۰)"اس لیے کہ یہ کٹھن پر شرم کرتا ہے-کٹھن پر شرم یہی کیوں کرتا ہے؟ ہم کیوں نہیں کرتے؟ اس لیے کہ ایشور نے شرم اسے سونپا ہے، ہمیں نہیں-ایسا کیوں ماں؟ یہ تو ایشور ہی جانے"غضنفر، دویہ بانی، ص۲۵.

(۳۱)"ٹھیکروں جیسی کتھئی روٹی اور مٹ میلے رنگ کے چپ چپے بھرتے نے اسے حیرت میں ڈال دیا تھا"غضنفر، دویہ بانی، ص۳۸.

(۳۲)"بالک نے روٹی کا ایک چھوٹا سا ٹکڑا توڑا اور اس پر تھوڑا سا بھرتا رکھ کر اپنے منہ میں ڈال لیا-مگر صرف دو چار بار منہ چلانے کے بعد اس نے ادھ کچلے نوالے کو جلدی سے زمین پر اگل دیا-اس کے حلق میں جلن مچ گئی-اس کا منہ بگڑ گیا جیسے اس میں کوئی چنگاری رکھ دی گئی ہو"غضنفر، دویہ بانی، ص۳۹.

(۳۳)"بالو اول کے بھرتے کے ساتھ مڑوے کی روٹی اطمینان سے کھا رہا تھا-اس کے چہرے پر کسی قسم کا کوئی ناخوشگوار اثر نہیں تھا" غضنفر، دویہ بانی، ص۴۰.

(۳۴)"سوامی! لوگ مانس کے لیے اکٹھا ہوئے ہیں-مانس! کیسا مانس؟ کوئی ڈانگر مرا ہے-تو کیا اس مرے ہوئے ڈانگر کا مانس لوگ لے رہے ہیں؟ جی سوامی-مان سکا کیا کریں گے؟ کھائیں گے-کھائیں گے؟ جی سوامی-پر نتو مرت پشو کا مانس کھانا تو ورجت ہے-مجھے کیا پتا

سوامی، ہم تو یہی کھاتے ہیں- تم لوگ! اسے کیوں کھاتے ہو؟ پیٹ بھرنے کے لیے- پیٹ بھرنے کے لیے سڑا مانس کھاتے ہو؟ جی- کیا سڑے مانس سے گھن نہیں آتی؟ نہیں "غضنفر، دویہ بانی، ص ۴۱، ۴۲.

(۳۵) أحمد القاضي (دکتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، ص ۳۴.

(۳۶) "اگلی صف کو چھوڑ کر باقی تمام صفوں میں لوگوں کے آگے کوئی نہ کوئی سامان ضرور موجود تھا- کسی کے سامنے اناج کی ٹوکری تھی تو کسی کے آگے گھی یا تیل کا برتن- کسی کی ٹوکری بڑی تھی تو کسی کی چھوٹی- کسی کے سامنے گھی کے مرتبان تھے تو کسی کے آگے تیل کی کٹوریاں- ایک ایک کر کے لوگ اپنی جگہ سے اٹھ کر اپنی ٹوکری یا برتن لیے آگے بڑھتے تھے اور چبوترے کے پاس اسے رکھ کر آگ کے سامنے جھک کر کھڑے ہو جاتے تھے "غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۷.

(۳۷) "آگ کی روشنی اس کے بے لباس بدن پر قریب سے پڑ رہی تھی- اس روشنی میں اس کے چہرے کی ابھری ہوئی ہڈیاں اور نمایاں ہو رہی تھیں- اس کی ہنسلیاں اور پسلیاں صاف صاف دکھائی دے رہی تھیں- ایسا لگ رہا تھا جیسے آگ کی لپٹیں اس آدمی کا گوشت جلا کر ہڈیوں کو باہر نکال رہی ہوں- اس کا دھنسا ہوا پیٹ کسی پھوٹی ہوئی ہانڈی کی طرح معلوم ہو رہا تھا اور روشنی اس ہانڈی کے خالی پن کو روشن کرتی جا رہی تھی- اس آدمی کو دیکھ کر ایسا لگتا تھا جیسے وہاں کوئی استھی پنجر کھڑا کر دیا گیا ہو "غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۷.

(۳۸) "پر نتو پہلی پنکتی میں بیٹھے لوگوں کے آگے کوئی ٹوکری یا باسن نہیں ہے- ایسا کیوں ہے؟ وہ دیوتا کو پرسن کیوں نہیں کر رہے ہیں" غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۹.

(۳۹) "ایک ایک کر کے سارا اناج، سارا گھی، سارا تیل ان دیوتا کی نذر ہو گیا- ...- لوگ اپنے اپنے خالی برتنوں کے ہمراہ اپنے گھروں کی طرف لوٹ گئے "غضنفر، دویہ بانی، ص ۷۰.

(۴۰) "بالو! جی سوامی! تم لوگ پاٹھ شالہ کیوں نہیں جاتے؟ باپو کہتا ہے ہم وہاں نہیں جا سکتے، اس لیے- کیوں؟ وہاں آپ لوگ جو جاتے ہیں- تو کیا ہوا؟ ہمارے جانے سے کیا ہوتا ہے؟ مجھے نہیں پتا- جانے کا من کرتا ہے؟ بالو چپ رہا- بولو نا، پاٹھ شالہ جانے کا من کرتا ہے کہ نہیں؟ کرتا تو ہے پر..... بالو نے جملہ ادھورا چھوڑ دیا" غضنفر، دویہ بانی، ص ۴۸.

(41) https://www.bbc.com/arabic/magazine-58869243 16/11/23

(۴۲) "بالک بندیا کو دیکھ کر گھبرا گیا- بندیا بابا کے کمرے سے روتی ہوئی نکلی تھی- اس کے چہرے کا رنگ اڑا ہوا تھا- بال بکھرے ہوئے تھے- ساڑی سے خون ٹپک رہا تھا- منہ کو ہاتھ سے دبائے بدحواسی میں وہ بھاگی جا رہی تھی" غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۳.

(۴۳) "رکت بھی بہتا ہے- یہ دوسرے پر کار کا پھوڑا تھا- بہت بڑا ہو گا؟ ہاں بہت بڑا تھا- اس میں اتنا دشت رکت تھا کہ پھوٹنے پر ہمارا بچھاؤن بھی سن گیا- دیکھو نا یہاں بھی کتنا ٹپکا ہے- بالک نے فرش پر بچھے بستر پر اپنی نظریں جما دیں- بستر پر جگہ جگہ سرخ سرخ دھبے دکھائی دے رہے تھے "غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۳.

(۴۴) "اس کا پیلا پن اسے پریشان کرنے لگا- چہرہ ایسا پیلا پڑ گیا تھا جیسے جسم کا سارا خون پھوڑے کے پھوٹنے سے بہہ گیا ہو "غضنفر، دویہ بانی، ص ۶۴.

(۴۵)"ٹھیک ہے جب تم نہیں مانتے تو سنو-بات یہ ہے.....ماں کی زبان پھر بند ہو گئی-ہاں،ہاں، بولو ماں!کیا بات ہے؟ بندیا کا سمبندھ بابا سے رہ چکا ہے-ماں نے تیزی سے یہ جملہ ادا کر کے اپنا سر جھکا لیا-کیا کہتی ہو ماں! یہ سچ نہیں ہے-ایسا کدا پی نہیں ہو سکتا-یہ شت پرتی شت سچ ہے-ہو سکتا ہے بندیا کی اس میں اچھا نہ ہو پر نتو بابا....ماں نے گردن جھکائے ہوئے جواب دیا-.....-بیٹے! تمہیں یاد ہے بندیا ایک دن بابا کے کمرے سے روتی ہوئی نکلی تھی؟ ہاں، یاد ہے، اس دن بابا کے کمرے میں اس کا گھاؤ پھوٹ گیا تھا-بندیا کا کوئی گھاؤ نہیں پھوٹا تھا-اس کا رکت گھاؤ سے نہیں.....-آگے کچھ نہیں ماں! میں سمجھ گیا-بندیا کا زرد چہرہ، خون میں سنی اس کی ساڑی، اس کی آنکھوں سے جاری آنسو، اس کا منہ پر ہاتھ رکھ کر بدحواسی میں بھاگنا-ایک ایک منظر ابھر آیا"غضنفر، دویہ بانی، ص۱۳۸،۱۳۹.

(۴۶)"اتہہ منش کو چاہیے کہ وہ جھوٹ سے بچے اور سدیو سچ بولے-اس لیے بھگوان کہتا ہے کہ اگنی کے بیچ بھی منشیہ کو ستیہ بولنا چاہیے" غضنفر، دویہ بانی، ص۱۰۵.

(۴۷)"یدی تو سچ نہیں بتائے گا تو اسے بھی کٹھور دنڈ دیا جائے گا جس نے تجھے دویہ بانی سنائی ہے اور ہمیں اس بات کا پتا چل گیا ہے-اب کیول ہم تیرے منہ سے سننا چاہتے ہیں-یدی تو سچ بتا دے گا تو ہم تجھے بڑا دنڈ نہ دے کر کوئی چھوٹا موٹا دنڈ دے کر چھوڑ دیں گے" غضنفر، دویہ بانی، ص۱۰۶.

(۴۸)"تو جو میں کہتا ہوں اسے دھیان سے سن-جی سوامی-کل کی سبھا میں تو یہ نہ کہنا کہ دویہ بانی بالیشور نے تجھے جان بوجھ کر سنائی بلکہ یہ کہنا کہ بالیشور جب دویہ بانی کا پاٹھ کر رہے تھے تو تو نے چھپ کر سنی-پر یہ تو جھوٹ ہو گا سوامی، اور یدی میں جھوٹ بولا تو میں نرک میں ڈالا جاؤں گا-میرے شریر میں کوڑھ پھوٹے گا-.....-نہیں، یہ ویسا جھوٹ نہیں ہے جس سے منشیہ نرک میں جاتا ہے، جس سے کوڑھ پھوٹتا ہے، اس جھوٹ سے تو تجھے پونیہ ملے گا-پونیہ ملے گا! وہ کیسے سوامی؟ تو یہ جھوٹ اپنے لیے نہیں بولے گا بلکہ اپنے سوامی کے لیے بولے گا-اس لیے پونیہ ملے گا"غضنفر، دویہ بانی، ص۱۰۸.

(۴۹)"بابا! اسے پیڑت کیوں کیا گیا؟ اس نے پریشان ہو کر سوال کیا-بیٹے! اسے دنڈ دیا گیا ہے-بابا نے بڑے ہی شانت اور سپاٹ لہجے میں جواب دیا-پر کیوں بابا؟ اس نے اپرادھ کیا ہے-ودھان کو توڑا ہے-کون سا ودھان بابا؟ وہ ودھان جسے ودھاتا نے بنایا ہے-اس نے گھور پاپ کیا ہے-اس نے وہ سنا ہے جو اسے نہیں سننا چاہیے-بابا، اس نے ایسا کیا سن لیا ہے جو اسے نہیں سننا چاہیے؟ اس نے دویہ بانی سنی ہے"غضنفر، دویہ بانی،، ص۵،۶.

(۵۰)"بابا! دویہ بانی تو سننے کے لیے ہے- پھر اس کا سننا اپرادھ کیوں ہے؟ اور یدی اپرادھ ہے تو اسے تو ہم اور آپ بھی سنتے ہیں-ہمارے کان میں تو کبھی سیسا نہیں ڈالا گیا؟ مورکھ! بھلا ہمارے کان میں سیسا کیوں ڈالا جائے گا، دویہ بانی تو ہے ہی ہمارے کان کے لیے-اپرادھ تو اس کے لیے ہے-اس کے لیے اپرادھ کیوں ہے بابا؟ اس لیے کہ یہ ہم میں سے نہیں ہے-یہ ہم میں سے کیوں نہیں ہے؟ اس لیے کہ یہ ہم سے الگ ہے"غضنفر، دویہ بانی، ص۸.

(۵۱)"تمہارے پہلے پرشن کا اتر یہ ہے کہ ہم سر سے جنمے ہیں اور جھگرو پاؤں سے - بالک اس جواب پر بھونچکا ہو کر گرو جی کی طرف دیکھنے لگا- لگتا ہے تمہاری سمجھ میں نہیں آیا؟ جی گرو جی - بات یہ ہے کہ برہمانے ہمیں ارتھات ہمارے پرتھم پورو ج کو اپنے سر سے جنم دیا تھا اور جھگرو کے پرتھم پورو ج کو اپنے پاؤں سے نکالا تھا- سر اور پاؤں میں جو انتر ہے وہی ہم میں اور جھگرو میں ہے- ہم سر کا استھان رکھتے ہیں اور جھگرو پاؤں کا- سر اوپر ہوتا ہے اور پاؤں نیچے "غضنفر، دویہ بانی، ص ۳۳.

(۵۲)"لاؤ! بابا کے لب سے نکلی اس آواز پر آدھے سے زیادہ لوگوں کے دل دہل اٹھے - آن کی آن میں ایک نوجوان کو جس کے ہاتھ پاؤں مضبوط رسی سے بندھے ہوئے تھے، بابا کے سامنے لا کھڑا کر دیا گیا- جھکاؤ- اس آواز کے سنتے ہی اس نوجوان کو جانور کی طرح پچھاڑ کر زمین پر گرا دیا گیا- بابا اپنی جگہ سے اٹھے - آگے بڑھے - احتیاط سے پتیلی کو ہاتھوں میں اٹھایا اور پتیلی میں کھولتے ہوئے مادے کون وجوان کے کان میں ڈال دیا"غضنفر، دویہ بانی، ص ۱۱۰.

(۵۳) أحمد شلبي (دكتور)، أديان الهند الكبرى، ص ۵۸.

(۵۴) "ویدوں کے سلسلے میں یہ حکم صادر کیا کہ اگر اس کے اشلوک شودروں کے کان میں پڑ جائیں تو کان میں سیسہ ڈال دینا چاہیے- ویدوں کو اس مخصوص طبقے کے لیے شجر ممنوعہ بنانے کا مقصد یہی تھا کہ ذہنی طور پر وہ اپنی کم مائیگی کو تسلیم کرتے ہوئے تا عمر پستی اور ذلت کی زندگی گزارنے پر مجبور رہے، جس کا مقصدِ حیات اعلی طبقات کی خدمت گزاری تھی--یہی دبا کچلا اور استحصال زدہ طبقہ آگے چل کر دلت کہلایا" شگفتہ یاسمین، پانی سے مانجھی تک (تنقید کے آئینے میں)، براؤن بک پبلی کیشنز، نئی دہلی، جنوری ۲۰۱۳ء، ص ۴۴.

(۵۵)" بھگوان کی سوگندھ سوامی! اس میں میرا کوئی دوش نہیں ہے- چپ بے دشٹ! اپنی گندی جیوا سے بھگوان کا نام لیتا ہے! چھما کر دیجئے سوامی! بھول ہو گئی "غضنفر، دویہ بانی، ص ۲۰.

(۵۶)"سوَر کی سنتان! تو بالیشور کو اپنے گھر لے گیا تھا، تو نے یہ دس ساہس کیسے کیا؟ یدی میرے بالک کو کچھ ہو گیا تو تجھے جیوت گاڑ دوں گا- .....- چپ اور سن! بالیشور کو پھر کبھی چٹولی لے گیا تو تیری ٹانگ توڑ کر رکھ دونگا"غضنفر، دویہ بانی، ص ۱۹، ۲۰.

# المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر والمراجع العربية**

**١) أحمد القاضي (دكتور)، المجتمع الهندي عادات وثقافات، دار العلوم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، أكتوبر ٢٠١٩م.**

**٢) أحمد شلبي (دكتور)، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، ٢٠٠٠م.**

**٣) دستور الهند، ترجمة: المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، سفارة الهند بالقاهرة، ٢٠١٤م.**

**٤) مُحَمَّد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.**

**ثانیاً: المصادر والمراجع الأردية**

۱) شگفتہ یاسمین، پانی سے مانجھی تک (تنقید کے آئینے میں)، براؤن بک پبلی کیشنز، نئی دہلی، جنوری ۲۰۱۳ء.

۲) غضنفر، دویہ بانی، بشری پبلی کیشنز، علی گڑھ، ۲۰۰۰ء.

**ثالثاً: القواميس والمعاجم**

۱) راجیسور راؤ اصغر، ہندی اردو لغت، انجمن ترقی اردو، پہلی اشاعت، کراچی، پاکستان، ۱۹۹۷ء.

۲) فیروز الدین، فیروز اللغات اردو جامع، فیروز سنز لمیٹڈ، چوتھی اشاعت، لاہور، ۲۰۱۱ء.

**رابعاً: المجلات**

ماہنامہ "چہار سو"، راولپنڈی، جلد ۲۸، شمارہ: مئی اور جون ۲۰۱۹ء.

## خامسا شبكة المعلومات الدولية

1. https://jmi.ac.in/Academy-Of-Professional-Development-Of-Urdu-Medium-Teachers/Former-Faculty-Members/1563/Ghazanfar_Ali(Retd.)
2. https://rekhtadictionary.com/meaning-of-dalit?
3. https://www.bbc.com/arabic/magazine
4. https://www.britannica.com/
5. https://www.ida2at.com/dalits-in-india-pariahs-from-birth
6. https://www.skynewsarabia.com/